المشرق

السنة الستون

كانون الثاني – شباط ١٩٦٦

الشاعر نقولا فياض

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

الدكتور نقولا فياض اللبناني قد اشتهر في ميدان الشعر ، مثل اخيه المرحوم الياس ؛ سنة ١٩٥٠ صدر في بيروت ديوانه « رفيف الاقحوان » . في هـذه المقالة نضرب صفحاً عن القصائد المنظومة في شرخ شبابه ، وعن التي عرّبها بتصرف عن الفرنسية والالمانية .

لم نجد في ديوانه قصيدة على فلسفة الحياة ، بيد ان له بضعة ابيات يُستشف منه جهله او تجاهله لغاية حياتنا القصوى السامية . واستخفافه بالدين وادعاؤه انه يقيد العقل . بل يستعبده . هاكم بعض ما نظمه لابداء تلك الآراء القائلة :

ما قصدُ ربك بالوجود ، وقد غدا   كل امرئ بضلالـه يتمادى ؟

ان الحياة جنايةٌ ؛ افما كفى   حتى اردت خلودها ، يا جانِ ؟

قال عن الجامعة الاميركية البروتستانية في الاسكندرية :

انت رُمت العقل حُرًّا مطلقاً ؛ لم يقيَّـد بقيود المذهب .

يقول عن نفوس الموتى للارض :

ارواح من نبكي بعثتِ رسومها في الزهر ضاحكةً وفي الاغصانِ .

فلا بدع بكونه متشائماً ، لا يرى في حياته الارضية سوى غيوم شكوكها وظلمات احزانها وبلاياها . اول قصيدة غير معربة في ديوانه ، عنوانها « يأس » ؛ اليكم بعض ابياتها الملأى قنوطاً :

لم ابلغ العشرين بعد ، وهمّتي ملّت بميدان الحياة جهادا !...
كم قامة كان الربيع لها حُلى ، فقضى وصار لها الخريف حدادا !
لم تجن منك يداي يوماً وردة إلا استحالت بالشقاء قتادا !
نارٌ يجددها الرجاء باضلعي ، فيعيدها اليأس الجديد رمادا !

له قصيدة طويلة في تعظيم نبي المسلمين ؛ دونكم شيئاً منها :

نبيَّ العُرب ، الهمني بيانا ، على عجزي اهز به الزمانا ،
وأرفـع للنفوس لواء حق ، وأبسطه على الدنيا امانـا ،
واجعـل في حنايا كل صدر لمولـدك المبـارك مهرجانا ...
ومن مهـد قُرَيشيِّ عديم تعـالى النور فاكتسح الزمانا !
فيا لك مولدًا حضنتْه دنيا ليأخذ بالهدى الدنيا احتضانا !...
واعطـاهم على الاسلام ديناً يوزع في الورى الشيَم الحسانا !
فيا دنيا ، استعزّي ، ان فجرًا جديدًا للمكارم فيك بانا !

يقول انه يتوق كل التوق الى رفع لواء حقيقة الاسلام وبسطه على العالم اجمع ؛ فلماذا لم يرفعه ويبسطه على ذاته ؟ يؤكد ان النور قد تعالى من مهد محمد « ليأخذ بالهدى الدنيا احتضانا » ؛ فلماذا لم يستنر بذلك الضياء الباهر ، ولم يسر في صراط الهدى ؟

له عدة قصائد جميلة يُبدي فيها آراءً سديدة على الحياة وبعض شؤون المجتمع الكبرى . هاكم ابياته الرائعة على سمو الحياة ، وهي تكذيب صريح لما باح لنا به عن يأسه المضني :

قالوا «لقد شاخ الزمان» ، وما دروا . ان الحياة جديدة لا تهرمُ ؛
وهي الغنية ، مـا شكا من فقرها الا فقير القلبِ ، يعوزه الدم .

يـا هادم الآمال ، ماذا تبتغي بنيانه بدلاً بها . اذ تُهدم ؟
اليأس مجلبة الخمول ، فلا تقـُــل « عمرٌ يزول » : اذا عداك المغنم .
ما القبر غاية كل حيٍّ مثلما زعموا ، فللانسان غايٌ اعظم :
ان يملأ الأيام من اعماله ، فتظل بعد سكوته تتكلم !...
لو يعلم الانسان مـا يستطيعه بالحب ، لم يلك في البرية مجرم .
الحب اعذب ما يقال ويُشتهى والذ مـا نظم الزمان وينظم ؛
فتمسكوا بصلاتــه وترنموا بصلاتــه ، وانا السعيد وانتم !

في « الشاعر والمومياء » قد ابدع بايضاحه ان كنه الحياة ليس في الجمود ، بل في التطور والتكامل . تقول المومياء للشاعر الذي حسدها على نومها الطويل اخيّ :

بل ليتهم طرحوا رُفـاتي في الفلا لوحوشهـا نهباً وللعقبـان ،
فاعود للكون الذي فـارقته ، ويجدد الدهر الجديد كياني ؛
تلك الحياة ، وليس مـا ضمّختمُ جسدي به وكحلتمُ اجفاني !..
كلٌّ يناديني ، فتخفق اضلعي لصداه تحت لفائف الكتان :
« قومي ، فقد دعت العناصر : والبسي حُلل الطبيعة وامرحي بأمان ؛
« تحتلّ من جسم الوجود صميمه ، ونشارك الافلاك في الدوران ؛
« قومي ، لعلك زهرة البستان او روح تحرك زهرة البستـان ؛
« ولربما اتخذت محـاجرُ كاعب منك الفتور للحظها الوسنان . »

« سفرة في الحياة » وصف مبتكر رائع للقتال الشديد المتواصل بين نفسنا التوّاقة الى ذرى الفضائل وجسمنا الميال الى اسفل الدنايا ؛ هاكم باقة من اجمل ابياته :

يا لعُمر مشيا فيه معا ،
جسدي النازل من شهوتـه سُلّم العار ، وروحي الساميهْ !
يا لعمر مشيا فيه معا !
مشيـا ، كلٌّ الى غايتــه مثـل خصمين ، ولم يختصما ؛
فهو لا يشبع من لذتـه ، وهي لا تعرف الا الالمـا ؛
يا لعمر مشيا فيه معا !
المعاصي من نصيب الاول ، وكفاف الزهد حظ الثانيه ...
ان يكن في سيره ضـل السبيلْ ، ورماه الطيش في ليل عنيفْ ،

فهي لم تبرح مع الأفق الجميل ، تسحب النور على ذيل عفيف ؛
يا لعمر مشيا فيه معا !

رفعتْه فهوى ، قومتــه فالتوى ،
ضاع منها في اعاصير الهوى !

فاذا مــا حملتْ معْه ذنوبهْ ، فهي لم تبرح من الله قريبــهْ ،
ولقد مات غريباً مثلما عاشت غريبه ،
جسدي النازل من شهوتــه سُلم العار وروحي الساميهْ !

اجاد كل الاجادة في تعظيم المرأة وبيان كونها ، مع الرجل ، القطبين اللذين يدور المجتمع حول محورهما :

اجثو عــلى أقدام جنسك ذاكراً امي ، فلولا الام مجدك بادا !
وأُجل فيك رفيقــة العمر التي تحْيي العيال وتحضن الاولادا ،
واكرّم الاخت التي بحنانهــا تُنسي السقيم الطب والعُوادا !
ضل الذي ظن الحياة جميلــة في البعد عنك ؛ ومن يطيق بعادا ؟
الكون شعرٌ ، انت بيت قصيده ؛ لولاك ما عرف الورى انشادا !

لله درّه حين صرّح بأن جمال المرأة الاسمى ليس في محاسن جسدها وسطوع حُلاها ، بل في حصافة عقلها ونُبل قلبها وطهارة اخلاقها :

دعيني من الجيــد والمعصمِ ولحظ سللتِ ، فلم ترحمي ؛
ولا تذكري لي رماح القدود وورد الخــدود ودُر الفم .
هو الحُسن في العقل قبل المحيّا ، فحلّي حديثك ثم ابسمي ؛
ومن خُلُق نــاعم فالبسي حريرًا على الجسد الانعم .
ولا تأمني نُضرةً في الخدود ، اذا هي للقلب لم تنتمِ ؛
وحسْبُك ، يا هند ، روحٌ ترفّ من الطهر في ثوبهــا المُعْلَم !

توخى الابتكار في وصف فظائع الحرب واهوالها ، فجعله بجسارة مستحسنة على لسان الارض ، وهي تسرده لسكانها المتباغضين المتوحشين :

ما لنجوى الاسلاك[1] لا تستفز اليوم اصداؤها سوى آلامي ،
ولخطّ الحديد ، ارجف من قضبانه ، وهي اضلعي وعظامي ؟

١) يعني الشاعر اسلاك التلغراف والتلفون

واجواري ، من الضفاف اليها نظراتٌ ليست حديث هيام ؛
وعلى الطائرات الف سلام يوم كانت لراحتي وسلامي !
رُسلِ الفقر والدمار ، وقبلاً حملت ثروتي وصانت حطامي !
الى هذه المخازي انتهيتم بعد نهك العقول والاجسام ،
وعصور من ظلمة وشقاء وخنوع وثورة وانتقام !
بئس عمرانكم وحكمة جيل افسدته سياسة الحكام !

يدّعي نقولا انه لا يحب النساء سوى حب روحي محض :

قالت : « اود بان يكون هواك لي حباً تنزه عن عيوب الناس ،
« يسمو بنا نحو السماء ، فلا نرى فيْ كأسنا الا صفاء الكأس ،
« ونعيش بالروحين يجمع بيننا ادب الحياة ورقة الاحساس ،
« وتكون لذتنا التي لا تنتهي خمر الحديث يطيب في الأنفاس.»..
فأجبتها : « اوليس هذا مذهبي في الحب ، تعرفني بـه جُلاسي ،
« تتحطم الشهوات عند ارادتي ، وتمر مثل سحابة في راسي ؟ »

بيد انه يكذّب ذلك الادعاء تكذيباً صريحاً في « زيارة من غير موعد » ، حيث يصف لنا الحب الجنسي قارعاً باب داره ، فقصد الشاعر ان يصرفه قائلاً :

عبثاً تطلب الدخول ، فنفسي ، ايها الحب ، قد سلتك طويلا ،
نسيتْ عادة الصبابة والشكوى وذكر العهود والتقبيلا ...

فألان الحب قلب نقولا بالبكاء والاستعطاف ؛ وما لبث الشاعر ان فتح له بابه ، بل اجلسه على عرش فؤاده ؛ فقال عن استعباد الحب له :

قُضي الأمر بيننا ، وبداري اصبح الحب حاكماً ما شاء !

القصائد الغزلية البحتة قليلة في ديوانه ؛ غير ان لهجتها الملتهبة دليل واضح على شغفه ببنات حواء ؛ هاكم شيئاً من وصفه لسحر عيونهن :

يا للعيون ومـا يحركه بها من كامن الأسرار جفنٌ فاترُ !
خُلقت سبيلاً للضلالـة والهدى ، لم ينج منهـا مؤمن او كافر !
فيها معانٍ للخمور وللطيور وللزهور ؛ وللبحور مناظر ...

الموت فيهـــا والحياة تلاقيا ؛ الموت سرٌّ ، والحياة الظاهر .
في دقة التركيب اضعف كائن انسانهـــا ، وهو الاله القادر !

قد سمعتم تأليبه لعيون معشوقاته . في « لبنان بعد الحرب » يصف لنـــا مغازلته لاحداهن : معترفاً بان حسنها الفتان قد اسكر حواسه ، فاسكت صوت احتجاج ضميره :

كان لي عهـــد على تلك الصخورْ من مطلّ السفح للوادي الخصيبْ
ارشف الكوثر من ثغر طهور ، واناجي الله في لحظ الحبيب
والخلودْ في ورودْ خده الفتانْ ! ...
خلوةٌ اغنى بها شعري الخيالْ عن معاني الزهد في شعر الضرير[1]
وحبيبي نـــاشر بُرد الجمال حاجزًا ما بين قلبي والضمير
فتراني في افتتاني صاحياً سكران !

يقول لمعشوقة اخرى ، في قصيدة قد اطلق بعض ابياتها من قيود الوزن : كما اطلق شهوته من قيود العفاف :

ان اكن احببت حباً خـــالصاً ، فلقـــد احببت فـــاك
ان اكن احببت حباً مؤلمـــاً ، فهمـــا مقلتاك
ان اكن احببت حباً لا يطاقْ ، فهو ذاك الخصر مشدود النطاقْ ؛
وهو ذاك الجيد والقد الرشيقْ ! ان اكن احببت حباً لا أفيقْ
منه ؛ فهو الجسدُ ناعمٌ يتقـــدُ !
قـــد تمتعت طـــويلاً بجمالكْ ،
وشفت نفسي غليلاً من وصالك ،
وانا اطلب ذا اليوم وصولا لخيالك ...

لعمري : ما ابعد ذلك الهوى الشهواني المضطرم عن الحب الروحي العُذري الذي ادّعاه نقولا في قصيدته « قالت » !

قلما يعالج المواضيع الوصفية المحضة ، غير انه يجيد النظم فيها . هكذا يصف « الاعمى الجائع » :

١) قد عني نقولا بالضرير الشاعر المشهور ابا العلاء المعرّي .

الفجر حول سريره يتبسمُ ، والفجر في عينيه ليل مظلمُ ؛
تمشي اشعته على اهدابه ، فيردّهـا عنه ستـار مُحكم...
ذهب القضاء بنجمتيه ، فما الذي توحي اليه شمسه والانجم ؟
هذا هو الاعمى ، وحسْب فؤاده جوعاً ، فكيف به اذا جاع الفم ؟

هاكم وصفه للخدم الجليلة التي قامت بها نساء روسية بنشاط عجيب في الحرب العالمية الثانية ؛ يخاطب احداهن قائلاً :

جسمك الغض يحمل الزاد ليلاً ، ومزار الاحباب ناءٍ طويلُ .
وجريحٌ على اللظى يتلوى ؛ مر دهر ، ولم يُبلّ غليل ؛
فاض منك الحنان برداً عليه وسلاماً ، رواقه مستطيل !
تنجدين الأنصار خلف الأعادي ؛ الهدى انت ، ان يضل الدليل ؛
وتقيمين في المصانع ، يرعى آلة الحرب زندك المصقول .
اعوز الارضَ ساعدٌ يجتليهـا ، واستغاثت حزونهـا والسهول ،
فهزت المحراث يوتي جناها ، واطمأنت مزارعٌ وحقـول .

قد صوّر لنا نجوم الليل وما اخفته من اسرار غامضة ، تصويراً ممتازاً بالابتكار والطبيعية ، في الابيات التالية :

مـا نجوم الليل الا مُقـل ترنو الينـا ،
مُقل الاموات ممـن ذكرهم غـال علينـا !
فاذا ما الشمس غابت والدجى غمر الارض اماناً وحنانا ،
اقبلت من عالم الغيب علينا لترانـا .

يانجوم الليل، من تلك الثقوبْ ارسلي النور الى قلبي الكئيبْ ؛
واغمري بالوحي روحي ، علّها ترتوي من ظمإٍ فيها غريب...
ولكن، يا ليل، في صمتك لي صيحة تنفذ اعماق القلوب :
ابعثُ الشعر بها بين الملا ، ينشر الحب ويحيي الاملا ،
ويظل الليل ستّار العيوب !

لا مراء في ان نوع الشعر الذي يميل اليه اشد الميل ، هو الغنائي ، وله مهارة غريبة في اقتباس مواده المتنوعة من مصادر عديدة ، نذكر منها محاسن الطبيعة ، سحر الفنون الجميلة ، الحوادث الجُلى المفرحة والمحزنة . هاكم شيئاً من مناجاته لظلمات الليل :

تنهدات الورى ، ما تصنعين بها ؟   قولي، وهل تحفظين السر ادهارا ؟
وما تقول لك الاحلام طـائرةً   من الجفون، اذا طيف الكرى طارا ؟..
يا ليل ، يا ليل ، كم ناداك من طرب   صوت المغني ، فما حركت اوتارا !
ان كنت للراحة الكبرى خُلقت، فكم   ارحت عيناً وكم اتعبت افكارا !...
تزحزحي : يا غيوم الأفق وانقشعي ،   وارسلي ، يا عيون الافق انوارا ؛
بل فاحمليني على اشباه اجنحة ،   حتى ارى غير دار البؤس لي دارا ؛
اودِعِ القطعةَ اللحمَ التي اسرتْ   روحي ، وأصبح في الآفاق سيّارا ،
فلا أرى الدم فوق الأرض مندفقاً ،   والبغض يضرم فيها النار والعارا !

قد عبّر هكذا عن شدة افتتانه بعزف صبيّة على البيانو :

ليس البيانو الذي باتت تكهربه   يداك ، اطوع من قلبي وافكاري ؛
لمسته فتمشى السحر بي ؛ فكما   تهتز اوتاره ، تهتز اوتاري !
اصابع العاج هذي تلعبين بها ،   ام تلعبين باسماع وابصار؟...
اثرتِ فيَّ من الاشجان كامنها ،   فبتُّ اسهر ليلي حول تذكار ،
كزهرة القفر في الظلماء ، ليس لها   من مؤنس غير نور الكوكب الساري.

قد ترنم ترنم الفرح والاعجاب بانتصار اليونانيين على الالمان الغُزاة ، في الحرب العالمية الثانية ؛ وقارن ذلك الظفر الباهر بالذي احرزوه حين انتهك الرومان القدماء حرمة وطنهم :

إيه ؛ يا موطن الغطارفة الاغريق ، زدني جوى وزدني حنينا !
لست انسى عدوان روما وطاغيها ، وكيف استباح العرينا ؛
فرأى ما أشاب منه النواصي ، واثـار الاعجاب في العالمينا !
ثم جاء النازي يصبّ عليك النار طيرًا ودارعاً وسفينا ،
ويدين الاحرار ، حتى اذا مـا ازفتْ ساعة انتقامك ، دينا ؛
فخبـا نجمه وضل هداه ، وحبتك الاقدار نصرًا مُبينـا !

رثاؤه لاخيه الياس آخذ بمجامع القلوب ، ولا سيما وصفه لتباريح المرض الاخير الذي عالجه فيه :

ابدًا اراك على فراشك صابرًا ،   ويكاد يعصيك اللسان الطيّع ...
ابدًا اراك ، وانت تنظر لي ، وفي   نظراتك النبأ الذي لا يخدع !

وتبيت تسألني ، ونبضك هارب من انملي ، هل في شفائك مطمع ؛
واري دبيب الموت فيك ، فأنحني متبسماً ، وحشاشتي تتقطع !
ابداً اراك ، ويا لها من رؤية ! نزل القضاء وكان ما اتوقع ؛
قد أُطبقت منك الجفون ، وعُطّل القلب الحنون ، وغاض ذاك المنبع !

لقد ابدع ايضاً في رثائه لفرنكلين روزفلت ، رئيس الولايات المتحدة ، الذي انتقل الى جوار مولاه سنة ١٩٤٥ ، قبل ختام الحرب العالمية الثانية ، وقد اراد ان تخوض بلاده غمارها بجانب فرنسة وحلفائها ، لانتصار الحق والعدل على القوة المادية الطاغية :

في كل ارض يوم نعيك مأتمُ ؛ يبكي الشقيّ عليك والمتنعمُ !
ما كان ضرك لو صبرت هنيهةً ليكون عيد النصر عيدك معهم ؛
فقدوا ابتسامتك التي كانت لهم نوراً ، اذا عبس الزمان المظلم !
اسست للاجيال بعدك عالماً ، واردته لا دمع فيه ولا دم !..
نبّهت للجُلّى عزائم امة كانت تنام على الحرير وتنعم ،
ونفخت روحك في البلاد جميعها ، فاذا البلاد مدافعٌ تتكلم !

قد حزّت وطنيته المضطرمة مراراً عديدة اوتار عوده الشعري ، فاخرجت منها الحاناً بديعة . هاكم صدى لوعته المضنية على الإقواء والدمار الهائلين ، اللذين شاهدهما في وطنه ، بعدما هلكت ربوات من اهاليه جوعاً في الحرب العالمية الاولى :

زرتُ ذياك الحمى بعد الغيابْ ، وانا ارجو شفاء العلل ؛
لم اجد فيه لتذكار الشباب اثراً يحيي دفين الامل ،
والحدادْ في البلادْ يبعث الاشجانْ !

وقف حصة كبيرة من شعره الوطني على اصلاح المجتمع اللبناني ، وعلى الاخص باستقباح الطائفية الحائلة كل الحيلولة دون اتحاد النصارى والمسلمين والدروز والعلويين :

وطني يهدّمه الشقاء ، ولا ارى كفاً تطيح بمعول الهدّام ؛
الطائفية قطّعت اوصاله ، وسياسة الاحزاب والارحام .
نفخ التعصبّ فيه اسوأ نافخ ، ورماه بالتفريق ابشع رام ،
وكوارث الحدثان لم تترك له من جسمه الجبار غير عظام !

قد نادى مراراً بضرورة استئصال الرذائل التي تفاقم انتشارها في وطنه العزيز، منذ اوائل هذا القرن المادي، العابد للمال والملذات:

ما لاخلاقنا تزيد فساداً كلما زاد بيننا التأثيل؟...
نكبة الشرق اننا لا نضحّي ابداً، والكرام فينا قليل؛
نكبة الشرق ان فينا خنوعاً، فنحابي من اجله ونميل.
يسرق الجائع الرغيف. فيُمنى بضروب التشهير، وهو ذليل؛
والذي يسرق الالوف عزيز؛ وله دون غيره التبجيل!

ومؤامراتٌ تُشترى في سوقها وتباع بالسِلَع العجاف ضمائرُ؛
ونفوذ دين او نفوذ زعامة، والحكم بينهما ضعيفٌ حائر.
والعلم والادب الرفيع مسخّر للمال، وهو بما يسخّر ساخر.
واشدّ من هذا وذا حزبيّة، في كل منطقة عليها ساهر؛
يرعى دسائسها؛ فان هي اخفقت فسدّساتٌ خلفها وخناجر!
هاتوا المعاول، يا شباب؛ وهدّموا ان كان للآتي يشيد الحاضر!

يجيد اشعال لهيب الوطنية الصادقة في قلوب اهل جبل الارز، بتذكيرهم مآثر كثير من اعيان مواطنيهم الشهداء، الذين قتلهم الحكام الاتراك لمجرد هيامهم بلبنان وسعيهم وراء استقلاله:

اولا تسمعون شبه حنيف من وراء القبور، وهو نداءُ:
«ايها العائشون، نحن سكبنا من دمانا لتستفيق دماء!
«ايها العائشون، نحن وضعنا أسُساً للعلى؛ فاين البناء؟...
«نحن كنا للحق نعمَ الضحايا؛ افكنتم للحق نعم الوقاء؟
«ليس من مات فاستراح بميْتٍ؛ انما الميْت زمرةٌ اشقياء!»

قد ابدى براعته في معالجة الشعر الرمزي، الذي تمثله في ديوانه قصيدة واحدة طويلة «البنفسجة»:

هي زهرة بجوار ساقية نبتت وعاشت عيشة الطهر؛
لم تدر غير العشب متّكأً، وسوى عناق الماء لم تدرِ.

سئمت من عيشتها المستترة الوضيعة، فتاقت الى الجولان، وحثتها الكبرياء على الارتقاء الى ذروة جبل شامخ، فذاقت من اهوال وعورة العقبات وثورة

وثائق عن تاريخ المعهد الكهنوتي البطريركي الكلداني

بقلم الاب يوسف حبّي – روما

لا تزال الحقبة الاولى من تاريخ المعهد الكهنوتي البطريركي الكلداني غامضة المعالم في بعض اطوارها ، او مجهولة تماماً في غير اطوار ، وبالرغم من احتفال القيّمين على المعهد المذكور في العام ١٩٦٥ باليوبيل المئوي على نشوئه . وانا لدى اعدادي دراستي عن البطريرك يوسف أودو (١٨٤٧–١٨٧٨) كنت التقي بوثائق عن مشروع او مشاريع تأسيس معهد كلداني ، كما وعن محاولات اولى منها ناجحة ومنها فاشلة في سبيل تحقيق الفكرة . فرحت اعنى بجمعها من بين تضاعيف مجلدات خزانات مخطوطات مجمع نشر الايمان (البروباغندا) والمجمع الشرقي ، حتى اكتملت لي ورأيت بانها تلقي اكثر من ضوء على الحقبة الاولى من تاريخ المعهد هذا، ويتمكن المرء معها من التوصل الى بعض حقائق تاريخية ثابتة هامة ، وان كانت منقوصة في قسم منها . فلا ريب بأن نشرها على علاتها سوف يفيد الكثير .

ان فكرة انشاء معهد كهنوتي كلداني تعود الى البطريرك نيقولاوس زيّا (اشعيا) دي جاكوبي (١٨٣٨–١٨٤٧) ، فهو في رسالة له بالايطالية في السنة الاولى من بطريركيته موجهة الى الزائر الرسولي لدى الكلدان المونسنيور فيلارديل ، القاصد الرسولي في سوريا ولبنـــان ، يقول : « لقد فكرنا باقامة دير مار كوركيس ، بين الموصل وتلكيف ، لجمع كل من لن يختاروا الحياة الرهبانية بل الاكليريكية ، حتى يمكنهم هم وشبان آخرون قد درسوا ما استطاعوا وهم يصبون نحو الحياة الكنائسية ، ان يتكلموا في وقت قصير على قدر الامكان تحت ادارة معلمين ماهرين ، فيكون لنا هكذا في ظرف سنتين او ثلاث حوالى اربعين فرداً قديرين بوسعنا ان نرسلهم الى ابرشيات الطائفة ، فيكون للشعب كهنته » (Prop. SR, Mesop. - Persia, 17 (1837-42) f. 527)[1] .

---

١) ان بدء الوثيقة بـ .Prop يعني انها محفوظة في خزانة مخطوطات مجمع نشر الايمـــان (البروباغندا) بروما ، واما الوثائق التي تبدأ بـ .OR او بـ .Acta Prop. Nror فهي محفوظة في خزانة مخطوطات المجمع الشرقي بروما . واما لغة الوثائق فهي الايطالية واللاتينية والفرنسية والعربية والكلدانية وغيرها احياناً .

والقاصد الرسولي في ما بين النهرين المونسنيور لورنس تريوش يشعرنا من جهته بانه كان مهتماً بانشاء معهد للكلدان . فهو يردّ على مجمع نشر الايمان في رسالة له بالفرنسية في ٤ شباط ١٨٣٨ بقوله انه كان يسعى في فرنسا لاستحصال « سبعة او ثمانية كهنة ؛ بعضهم لادارة معهدي المزمع ؛ والآخرون للرسالة بين النساطرة » (Prop., Acta 204 (1841), f. 351) ويعود فيوضح فكرته في رسالة اخرى ، في ٢٥ آذار ١٨٤١ ، بقوله : « كنت اهتم بتأسيس معهد في بغداد لاعداد اقليروس محلي » (Ibid. f. 319 v) . ولكنه يعود فيكتب في رسالة اخرى في ٢٦ كانون الثاني ١٨٤٤ قائلاً : « ثم عنيت بانشاء معهد في الموصل. فلقد شرع البطريرك لهذا الغرض باصلاح دير مار كوركيس الذي يبعد مسافة ساعتين عن المدينة . بيد انه في رأي المرسلين وفي رأيي انه من الاوفق لو كان المعهد في المدينة حتى لا يخشى عليه من هجمات الاعراب ، وحتى يكون في استطاعة الاب فاليرغا برعايته وادارته ؛ او يقوم بذلك احد الدومنيكان في حالة غيابه . بيد ان الامر قد تمّ : فالبطريرك يريد المعهد هناك لمضاددته للمرسلين. ولكن سوف يكون لنا المعهد هناك في اول الامر لا غير ، وحتى تهيئة عمارة في المدينة تصلح لهذا الغرض ، فيتخذ دير مار كوركيس آنذاك كبيت اختلاء روحي يقضي فيه مدة قصيرة او طويلة كهنة مختلف الابرشيات الذين يرتكبون اخطاء ثقيلة ... لقد اتفقنا مع البطريرك على هذا الامر . وعليّ ايضاً ان اعجّل بناية الكنيسة والمعهد في خوسراوا ... سوف اعطي عشرة آلاف فرنكاً الى فاليرغا لتعمير كنيسة ومعهد خوسراوا ... فيكون المبلغ الذي سيتسلمه ٢٥ الف فرنكاً. وكل ذلك لبنيان كنيسة في قرية لا تبلغ الثمانمائة نفساً ؛ ولمعهد في ابرشية لن يكون لها اكثر من اربعة او خمسة انفار سيتفرغون الى الحياة الكنسية : ولتقديم كاهنين كل ثمان او عشر سنوات . كان في رأي المرسلين ورأيي ان يعمّر معهد واحد في الموصل حيث المركز ؛ ولمنفعة كل ابرشيات البطريركية ؛ مما سيخفف النفقات ويسهل امر المعلمين الذين يصعب ايجادهم لمعهدين : واحدهما كما قلت آنفاً ؛ لن يكون فيه اكثر من اربعة او خمسة انفار ولن يعطي اكثر من كاهنين كل ثمان او عشر سنوات لسد احتياج ابرشية سلماس وحدها . اذ من المؤكد بان مؤمني جميع الابرشيات الكلدانية الموجودة في هذه الضواحي ؛ ما عدا ابرشية سلماس ، سوف لن يرسلوا اطفالهم الى فارس للدراسة . بينما ليس لمسيحي ابرشية سلماس النفور عينه في المجيء الى الموصل للدراسة . وان معهد الموصل يقدّم فائدة اخرى ؛ وهي في امكانية وضع اربعة انفار من السريان فيه ، اثنين من ماردين واثنين من الموصل . ولذا فانا احب ان استعلم من نيافتكم

في ما اذا كان ينبغي تأسيس معهد في خوسراوا علاوة على معهد الموصل »
. (Prop., Acta 207 (1844) f. 406-7)

فقد اتفق البطريرك والقاصد اذا على مشروع المعهد ، بعد ان كان قد فكر به كل منهما وسعيا على تحقيقه على غير معرفة واحدهما بما يدور في خلد الآخر ، وذلك لسكنى البطريرك نيقولاوس في خوسراوا في معظم الوقت ، وسكنى القاصد في بغداد . واما عن مشروع المعهد الكهنوتي في خوسراوا فلنا عنه اكثر من وثيقة متأت معظمها من قبل محقق المشروع السيد درنيس رئيس الرسالة اللعازرية في فارس (ايران) . فثمة رسالة من درنيس الى المجمع عام ١٨٤٧ يكتب فيها : « لقد قدمت للقيام بجولة في ما بين النهرين كي اختـار بعض الاحداث . فزرت كل مسيحيي ابرشية كركوك تقريباً ، ولقيت في موضعين شابين يصلحان لمعهد خوسراوا ... بيدي رسائل توصية من قبل السيد يوسف أودو سوف اطوف بواسطتها في ابرشية العمادية لاختيار اربعة شبان ، وسأتمكن في ظرف خمسة عشر يوماً من العودة الى فارس بمعية ثمانية او تسعة شبان من ابرشيتي العمادية وكركوك » (Prop., SO 970 (1848) f. 528, 530) .

ولا نلج عتبة باب الاعوام التي تسلم فيها الاب اليسوعي بندكتس بلانشيه امور القصادة لدى الكلدان (١٨٥١–١٨٥٩) حتى نعرف من رسالة لـه بالايطالية في ١٣ تشرين الاول ١٨٥١ بانه كان يفكر جدياً بتدبير محل لتنشئة الاكليروس ، اذ « ملح هو تثقيف الاكليروس الذي هو على جهل كبير هنا لنقص في الامكانيات . لقد ارسلت على نفقتي ثلاثة انفار الى كلية غزير حيث طلبت ان تعمَّر غرفة للنوم تخصص للكلدان . واما اولئك الذين لهم ميل نحو الحالة الكنسية ، ولكن تقدمهم في العمر لا يسمح لهم بالتفرغ لدروس طويلة ، فسوف اجعل لهم محلاً في دير مار هرمزد لسكناهم واعدادهم بطريقة اقصر ، مع منح الرهبان حق مصاريفهم واتعابهم . وانا اعرف جيداً بان الاخوة اللعازريين قد شيدوا كلية في خوسراوا في فارس ، غير انه قد بان بان الموضع لم يكن مناسباً للهدف . فالسيد درنيس اللعازري قد جاء فيما مضى الى ما بين النهرين للبحث عن تلاميذ فلم يلق احداً يتبعه . بحيث ان العمارة تلك التي كلفت لا شك نفقات كثيرة ولكي تكون كلية او معهداً كنسياً ، قد استحالت ، كما يقال لي ، الى مدرسة صغيرة يتلقى فيها القراءة ما يقارب الاربعين ولداً » (Prop., SR Mesop . - Persia 20 (1849-55) f. 539) .

فبلانشيه على كل حال كان يجهل مشروع البطريرك نيقولاوس والقاصد تريوش ،

فهو يكتب الى المجمع في ٢٨ ايلول ١٨٥٢ : « على مقربة من الموصل لقيت موضعاً بوسعه ان يكون صالحاً جداً لجعل منه كلية للطائفة الكلدانية . انه دير صغير تحت اسم مار كوركيس، لا يسكنه سوى اشخاص قلائل بقصد الحفاظ عليه . العمارة هي جيدة بالكفاية . ولقد باشرت باصلاحه وتعديله بنوع مناسب للغاية التي لاقت رضى الجميع . اما عن المعلم فنحن في انتظار عودة المدعو جورج (كوركيس) خياط من روما ؛ اذ تأتينا عنه اخبار جيدة . وبنيافتكم تعرفون احسن مني في ما اذا كان هذا الشخص صالحاً . واما التلاميذ الذين سيظهرون موهبة اشد ، واذا لم يكونوا متقدمين في العمر ، فسوف يستطاع ارسالهم الى رومـا » (Ibid. f. 617) ويعود فيكتب من الموصل في ١١ تشرين الاول ١٨٥٢ عن كلية مار كوركيس مجيباً على رسالة للمجمع فيقول : « لقد قيل لي بانه كان قد كتب الى روما آنفاً في عهد البطريرك السابق ضد جعل من ذاك الموقع كلية ، كما كان قد فكر به ذلك البطريرك . وقد تكلموا عن اخطار من قبيل الاعراب بسبب موقعه في القفر . غير ان الاخطار تلك لم تعد موجودة اليوم عقيب الاجراءات التي اتخذتها الحكومة . ثم ليس ذاك الموضع منعزلاً كما وصفوه ، فهو يقع تحت انظار اربع او خمس قرى : بعضها يبعد عنه اقل من ربع ساعة . وقـد قيل ايضاً بان معلم الكلية لن يستطاع استخدامه ، ان كان في ذاك المحل ، في الاعترافات والوعظ ، وانا فرح من هذه الناحية ، كوني اظن مناسباً بان مَن عليه ادارة اولئك الطلاب ، ينبغي ان لا يكون طائشاً بسبب الاعترفات والوعظ ، كما لو كان في المدينة ؛ بل من الافضل ان يتفهم اهمية المشروع المعهد اليه فيتفرغ له بكليته . كما وهو بوسعه من وقت لآخر ان يؤدي بعض الخدمات في المدينة كونها غـيـر بعيدة » (Ibid. f. 638) . فيردّ عليه المجمع في ٢٩ كانون الاول ١٨٥٢ قائلاً : « الرسالة التي اشرتم اليها ، ابوتكم المحترمة في رسالتكم في ١١ من تشرين الاول الماضي ، بصدد كلية مار كوركيس لم نلق لها اثراً بالرغم من البحث الطويل في هذه الخزانة . ولكن مهما كانت العراقيل التي كانت حائلة وقتذاك ضد مشروع تشييد معهد هناك ؛ فهي ان لم تعد موجودة اليوم حقاً كما تؤكد لي ابوتكم المحترمة عقيب الاجراءات التي اتخذتها الحكومة ، فبوسعكم بكل تأكيد استخدام تلك العمارة بعد نوال رضى الاساقفة المختصين او رضى مالكيه . اذ ليس ثمة من مانع آخر من قبل هذا المجمع المقدس » (Prop., Lett. 342 (1852) . f. 1122 v)

وبلانشيه الذي دبّر امر انعقاد مجمع الربان هرمزد الكلداني في حزيران

١٨٥٣ لم يهمل ان يخصص الفصل الثاني والعشرين والاخير من الاعمال عن هذا مشروع المعهد. ففي الفصل المذكور بعد ان يتحدث آباء المجمع عن نقصان العلم لدى اعضاء الاقليروس وحاجة الطائفة من ثمة الى معهد كهنوتي، وبعد ان يضعوا مخططاً موجزاً عن نظام المعهد وعن الدروس التي سيتلقاها التلاميذ فيه يختمون بقولهم: «ولما كان يستحيل علينا نحن ان نحقق هذا النفع الكبير والملح، بسبب افتقار طائفتنا، فنحن نلتجئ الى الاب المحترم القائم عوض القاصد الرسولي طالبين اليه ان يأخذ هو على عهدته المشروع هذا. ونحن نقدم له لهذا الغرض دير مار كوركيس في بعويره كي يصلحه ويرتبه بحسب فطنته ويضع فيه اشخاصاً قديرين على امر تدبيره» (J. Voste, Les Actes du Synode Chaldéen - *Fonti*, II, XVII, Vat. 1942, p. 75).

بيد اننا نفهم من رسالة للمونسنيور بلانشيه الى المجمع في ١٧ كانون الاول ١٨٥٥ بان البطريرك أودو «يطلب الي بان لا اضع يدي على مشروع المعهد قبل رجوعه الى الموصل. ويؤسفني بان مشروعاً ضرورياً كهذا يؤجل دوماً» (Prop., SR Mesop. - Persia 20 (1849-55) f. 1101) واما رسالة المجمع الى بلانشيه في ١١ تشرين الثاني ١٨٥٦ فنقرأ فيها: «اتلقى بفرح خبر الافتتاح القريب لتلك الكلية للكلدان والتي تريدون تسليم ادارتها الى الآباء الدومنيكان، الامر الذي يبشر بمستقبل افضل لتلك الطائفة التاعسة» (Prop., Lett. 347 (1856) f. 551 r) وثمة رسالة الى الأب اغسطين ماركي ناظر الرسالة الدومنيكية في الموصل، ينقل فيها كاتم اسرار المجمع في ٢٥ تشرين الثاني ١٨٥٦ الخبر عينه اذ يقول: «اسمع بفرح بالافتتاح المزمع عندكم لمعهد لهذه الطائفة الكلدانية التاعسة. واومل بان تعهد ادارته الى ابوتكم والى رفاقكم فيستطاع ارتقاب الثمار المرجوة» (Ibid. f. 578). وتمر مدة من الزمن حتى نفهم من رسالة اخرى للمجمع الى القاصد الى بلانشيه مسطرة في ٢٨ كانون الثاني ١٨٥٨ ما يلي: «وعن المعهد الذي تذكرون بانكم مزمعون على افتتاحه، فلقد اسرني هذا الخبر جداً لما سينتج عنه من خيور لهذه الطائفة الكلدانية. لكنني لست افهم السبب الذي من اجله تريدون انتظار عودة التلميذ شوريز. فان هذا لا يستطاع مقارنته حتماً بمقدرة وجدارة بعض التلاميذ الموجودين عندكم. فهو وان كان شاباً ممتازاً، فهو شاب ومواهبه منقوصة بحيث انه لن يقوى على ترأس معهد» (Prop., Lett. 350 (1859) f. 90) ولكننا نفهم اخيراً من رسالة المجمع الى بلانشيه في ٤ حزيران ١٨٥٩ بان المعهد قد افتتح اخيراً، اذ يكتب كاتم الاسرار: «يطيب الى السماع بان الكلية او المعهد الجديد قد افتتح، وبان التلميذ خياط

قد عيّن مؤقتاً لادارته حتى تعهد الادارة الى الآباء الدومنيكان كما في نيتكم ان تفعلوا » (Ibid. f. 370 v) .

فالسنة الاولى للمعهد هي سنة ١٨٥٩ ، ولعله افتتح في الاشهر الاولى منها ، وفي دير مار كوركيس ؛ ومديره الاول هو الكاهن المتخرج من البروباغندا كوركيس (جورج) خياط ، الذي صار بطريركاً فيما بعد باسم مار عبد يشوع خياط .

بيد ان الاختلاف الذي نشب بين البطريرك يوسف اودو والقاصد والمرسلين في اواخر عهد بلانشيه ، ما لبث ان اشتد بعد سفر ومقتل القاصد هذا في ٢١ ايلول ١٨٥٩ ، وحتى بلغ اشده في عهد قصادة المونسنيور هنري امانتون الدومنيكي (١٨٥٩–١٨٦٤) . وان الاختلاف هذا كان قائماً على عدة امور ، من جملتها حق ملكية دير مار كوركيس ومطالبة البطريرك بالدير وبحق الاشراف على المعهد . ولنا عن هذه القضية عدة رسائل متأتية عن مصادر كثيرة . غير اننا نفضل ان نورد اولا بعض ما جاء في تضاعيف الجلسة العامة لمجمع نشر الايمان والتي خصصت للقضية الكلدانية عام ١٨٦٥ ، وفيها فحص المجمع بكل تبسط عن القضية الملبارية الكلدانية وعن قضايا اخرى كالخلاف بين البطريرك والمرسلين الدومنيكان الفرنسيين والقاصد والنزاع حول مار كوركيس . فلقد جاء في تلك الاعمال تحت عنوان « ادعاءات بدير ومعهد مار كوركيس » ما يلي : « ان فكرة اقامة معهد تعود الى البطريرك الذي سبق اودو » . ويذكر النص هنا رسالة من المجمع الى القاصد تريوش مؤرخة في ١٥ ايلول ١٨٤١ يقول فيها بان « السيد البطريرك هو مهتم كثيراً في امر انشاء معهد طائفي لتهذيب وتثقيف الاقليروس . ولقد خص لهذا الغرض دير مار كوركيس بين الموصل وتلكيف ؛ فعلى القاصد ان يتفق معه ويعمل بكل جهده على النهوض بهذا المشروع ، وذلك باستخدام الآباء الدومنيكان خاصة ، ومن دون التردد في تخصيص قسم من المساعدة التي تأتيه من قبل جمعية نشر الايمان للغرض عينه » . ثم يكمل النص على هذا الوجه : « ليس من المعلوم ما الذي قام به المونسنيور تريوش في هذا الشأن ، بيد انه من الثابت بان المونسنيور بلانشيه الذي خلفه (كون القاصد الذي توسطهما ، اي المونسنيور مرجاي ، خطفه المنون سريعاً) قد عنى بذلك بكل قواه ... حتى جرى البحث حول هذا المشروع الخطير في ابان المجمع الذي عقده البطريرك والاحبار الكلدان عام ١٨٥٣ والذي ترأسه هو (بلانشيه) ، واتخذت الاجراءات المناسبة » . وبعد ان يذكر نص مجمع الربان هرمزد فيما يختص بالمعهد ، يواصل النص هكذا : « وضع

المونسنيور بلانشيه يده بحرارة ، وبمبلغ ضخم اصلح دير مار كوركيس المتداعي ، واقام عمارة جديدة على المقربة منه ، وجهزه باثاث واوان . وبعد ان كاد يفرغ من العمل ، وجّه فكره نحو ايجاد الاشخاص . وكان في نيته ان يستعين بصورة خاصة بالآباء الدومنيكان الذين في الموصل . بيد ان الاب ليجيه يكتب منذ ١١ ايلول ١٨٥٩ بانه قد عرف من البطريرك بان هذا ، منذ الشروع بتلك العمارة ، كان قد احتجّ الى المونسنيور بلانشيه وتهدده بانه لن يترك حجراً فوق حجر اذا لم يبقَ ذاك الموضع تحت سيطرته التامة . لكن الاب ليجيه يتابع بقوله بان المونسنيور بلانشيه لم يكف لهذا السبب عن التنفيذ مؤملاً بان نقصان الوسائط سوف ترغم البطريرك على الكف عن هذا الادعاء » . وحين ترك هذا القاصد الموصل ليعود الى اوروبا ، مضى الى دير مار كوركيس ، وهناك بحضور البطريرك عينه ، سلّم المفاتيح الى الاب المذكور ليجيه ، الذي عهد اليه بالنيابة عنه مقلداً اياه جميع صلاحيات القصادة . ولكن البطريرك لم يتأخر عن طلب تسليمه (الدير) له ، بفضل تصريح قبل ان المونسنيور بلانشيه قام به ايام مرّ في دياربكر ، وشهد بذلك الاسقفان الكلدانيان دينطالي وبرتتر ، فعارض الاب ليجيه هذا الطلب الذي هو مخالف تماماً للاوامر التي كان تسلمها من قبل المونسنيور بلانشيه . واذ اخبر البروباغندا وافاه جوابها في السابع من كانون الثاني ١٨٦٠ بانه عليه من غير نقض ادعاء البطريرك بصورة مباشرة ، ان يصرح له بان المعهد هو تحت وصاية المجمع المقدس ، وبالتالي فتحت وصاية ممثل المجمع ، اي القاصد الرسولي او من ينوب عنه » . وعندما وصل الى ما بين النهرين القاصد الجديد المونسنيور امانتون كتب في ٢٢ تموز ١٨٦٠ الى البروباغندا بانه قد زار دير مار كوركيس ، فلقاه غير صالح لاقامة معهد لانه في موضع قفر ، ومعرّض بالتالي للسرقة من قبل البدو ، ولانه بعيد ايضاً عن الموصل مسافة ما يناهز الساعة والنصف ، ولذا فان اساتذته لن يتمكنوا من ممارسة الخدمة في تلك المدينة المحتاجة اليهم شديداً . ولذا فمن الانسب التنازل عنه الى الكلدان ، ولكن حين يعود هؤلاء الى نوايا اكثر خلوصاً ، فقد كانوا آنذاك متحمسين شديداً بسبب قضايا الملبار . وان الاب الاقدس في استقباله (لسكرتير المجمع) في ٢ ايلول ١٨٦٠ ، بعد ان عرض الامر عليه ، ترك امر التنازل « الى حكم وفطنة الطالب (امانتون) شرط ان يحقق المعهد في موضع اصلح » . غير ان هذا الحبر لم يستعمل صلاحياته ، لانه كان ، كما يكتب في ٢٥ تشرين الثاني ١٨٦٠ ، في حالة مقاطعة تامة مع الكلدان ، ولم يكن هؤلاء ليروا بادرة كهذه الا عن ضعف متأت عن الرئاسة ، بل ولكانوا يعتبرونه

فعل استرجاع، وليس كهبة. وفي الواقع، فحين طالب به الاحبار الكلدان في مناسبة اجتماعهم في الموصل، مانع من التنازل عنه. ولخوفه انهم يروحون فيتملكونه عنوة، وضعه تحت حماية القنصلية الفرنسية. ولا حاجة الى ذكر ما سبّب ذلك من الكدر لاولئك الاحبار؛ وبانية تذمرات تقدموا الى الحبر الاعظم في رسالتهم المؤرخة في ١٦ تشرين الاول ثم في ٢٤ كانون الاول من العام ١٨٦٠؛ حيث يقولون ايضاً بان المعارضة تلك قد هيّجت حفيظة الشعب، لكنهم منعوا العواقب لئلا تسوء سمعة المرسلين. ولم يكفّ البطريرك عن تجديد الشكايات وتكرار مطالبته (بالدير) كشيء يخص الطائفة سواء بسبب ملكيـة الارض القديمة، وسواء بسبب منحها المزعوم من قبل المونسنيور بلانشيه؛ وكأنه كان بوسع ذلك الحبر بدون ترخيص اعلى ان يتصرف بتلك العمارة وما يتبعها كيفما يشاء. والبطريرك عندما قدم الى روما عام ١٨٦١ لم يتردد من القيام بطلب جديد الى نيافة الناظر الذي اجابه بانه قد اعطيت تعليمات بهذا الصدد الى القاصد الرسولي.

واخيراً اغتنم المونسنيور امانتون فرصة اتفاق بينه وبين البطريرك؛ يوم اعطى الحل للاسقف روكس، فسلم وتنازل الى الكلدان عن ذاك الدير المشؤوم. وبالرغم من ذلك فلم تبطل التشكيات؛ اذ يكفي ان تقرأوا؛ نيافاتكم، ما جاء في الرسالـة الشخصية التي وجهها البطريرك في ٨ حزيران ١٨٦٣ الى السيد محاسب، حيث يطالب بالاغراض والاثاث التي تركها المونسنيور بلانشيه؛ والتي كانت في الدير قبل ذلك؛ وهي كوقف من قبل المحسنين؛ وقد ارسل صورة عنها. بيد ان المونسنيور امانتون في جوابه المعطى في ١٤ تشرين الثاني ١٨٦٤ رداً على استدعاء البروباغندا، بعد ان يذكر بان الاثاث انما تركها المونسنيور بلانشيه تحت امر وتصرف المونسنيور القاصد، وبعد ان يذكر تفاهة الاغراض، يكتب هكذا: «ان اثاث مار كوركيس الوضيع كان تحت رحمة البدو في محل مقفر؛ لذا اخذته فوضعته في محل آخر، وكان من حقي ان افعل ذلك، لان الاحبار الكلدان كانوا آنذاك في حالـة هياج؛ ولم يكونوا يريدون التحدث بعد عن معهد، والاغراض هذه كانت قد اعدت في الاصل للمعهد. وبوسعي ان اسمح لذاتي برأي وهو، حتى فيما افترضنا بان ذلك كان بداعي ازدراء من جانبي، فهل كان يليق بالبطريرك الكلداني ان يسبب ضجة كهذه لامر زهيد؟ كان الاوفق، فيما اعتقد، ان يشكرني لانني سعيت في استحصال البيت له. وانا ان لم اخطأ؛ وجب علي القول بان معاملته لي انما كانت عدائية». على كل حال — يواصل نص الجلسة — ليس من العبث

اتخاذ اجراء ما لانهاء هذا المطلب الذي وان كان حقيراً بالنسبة الى الهدف ، فان بقاءه سيظل امراً مكروهاً ومجادلاً عليه » (Acta Prop. Nror. 2 (1864-5) f. 70ᵛ 71ᵛ).

ونقرأ في الاعمال بعد صفحات: « لقد كانت نكبة حقيقة لهم (للمرسلين الدومنيكان في الموصل) ان المونسنيور بلانشيه حين ابتعاده عن تلك البلاد عهد الى احدهم ، الاب منصور ليجيه ، بالنيابة عنه ، وسلمه مفاتيح وامر حراسة الدير او المعهد مار كوركيس . فان هذا الاب ما لبث ان حلت عليه نقمة البطريرك لانه لم يسلمه الموضع » (Ibid. f. 81ᵛ) . ثم نقرأ ايضاً : « ان نائب القنصل (الفرنسي) منعهم (الكلدان) خطياً عن دخول معهد مار كوركيس (Ibid. f. 85ᵛ) . ثم تمتحن الجلسة العامة قضية المعهد الكلداني على صعيد عام فتقول : « ليس من لا يرى الحاجة الماسة لتحسين الاقليروس ، اذا لم نقل ضرورة خلقه من جديد . وكيف يتمّ هذا من دون معهد ملائم ومنظم جيداً ؟ » وهنا يذكر النص نتفاً من رسالة للقاصد امانتون ، ثم يواصل هكذا : « اذا ما كان قد اعترف في الغرب بالضرورة اللازمة لانشاء معاهد لتنشئة الاقليروس الطالع ، فكم بالاحرى في الشرق ، حيث ينقص كل معهد علماني ايضاً الامر المتوفر لدى اللاتين . ولن تكفي الكلية الاوربانية لسد حاجات كل الابرشيات الشرقية ، اذ عدد تلاميذ الطقس الشرقي حالياً لا يتجاوز الثلاثين ، وبدون التكلم عن الواقع الذي يظهر مع مزيد الاسف بان كثيرين من الشرقيين المتهذبين في روما هم ليسوا على تلك الامال التي كانت معلقة عليهم وبكل حق . وثمة مرسلون فهماء وخبيرون يرتأون بانه لو اقيم في الشرق معهد كبير للطقوس الشرقية ومتعلق بالبروباغندا في كل شيء فستكون النفقة اقل والفائدة العائدة منه اكثر بكثير . واذا ما عدنا الى المعهد الذي يراد تشييده في الموصل ، فينبغي فحص الامر جدياً لرؤية فيما اذا كان من المناسب تأسيسه في حالة تسليم ادارته والتعليم فيه الى الاقليروس الطائفي . اذ علاوة على استحالة هذا الامر كون الاقليروس الذي وصفناه آنفاً ليس بقدير على حمل اعباء مهمة التعليم : فاي روح كنسي سوف يكتسب الشبان في معهد مرتجل واي تقوى وادارة ؟ وفي عدم وجود امل في ترقب الفوائد المذكورة ، فثمة الخطر ايضاً في تنشئة شبان متشبعين بروح البغضة والكراهية ضد اللاتين وضد روما . والافضل عند ذاك من عدم قيام معهد من ان يكون على هذا الوجه . وهو هذا ايضاً رأي المونسنيور امانتون الذي لا يتردد عن التصريح بانه يفضّل كهنة اليوم الجهلة والمرتجلين على كهنة يتهذبون ويتثقفون في معهد يديره الاقليروس الكلداني .

ولذا فالحاجة الماسة للكلدان ، كما ولجميع طوائف الشرق ، بان يعمل القصاد والمرسلون كل جهدهم على تنشئتهم في التقوى والعلم من غير المساس بطقوسهم الخاصة . اولئك الشبان الذين يظهرون قابلية ودعوة الى الحالة الكنسية » (Ibid. f. 90- 90ᵛ) .

ويقدم في نهاية الجلسة السؤال الآتي : « فما اذا ، وكيف ، يتدبّر امر خلق معهد لتثقيف الاقليروس الكلداني تحت رعاية القاصد الرسولي » ؛ فيجيب الكرادلة الاعضاء « بالايجاب ؛ وبأسرع وقت ممكن وبحسب النوع الجاري » .

واما السؤال السابع فهو عن اغراض الدير «فيما اذا يستجاب الى الحاح البطريرك باسترجاع الاثاث التي تركها المونسنيور بلانشيه في دير مار كوركيس »، والجواب « بالايجاب ؛ ومن باب الرحمة » (Ibid. f. 96) .

وفي وريقات ملصقة بالجلسة هذه ، ولكنها غير مرقمة ، وهي تحتوي على ملخص النقاش الذي صار بين الكرادلة قبل توصلهم الى تحديد الاجوبة على الاسئلة المعروضة ، نقرأ ما يلي : « ان المجمع المقدس قد اخذ بعين الاعتبار الشك (السؤال) السادس لكبير اهميته ، اي بشأن تأسيس معهد جيد التنظيم لتثقيف الاقليروس الكلداني . وان نيافة المقرر (الكردينال برنابو) كان هو اول من اعترف بضرورة انشاء معهد ؛ بل وشدد على ضرورة قيام ذلك من كل بد ، بيد انه اضاف بانه يصطدم بألف عقبة عندما يمتحن الامر واقعياً . فمن ينبغي وضعه على ادارة المعهد الجديـــد ؟ ولمن تعهد مهمة التعليم ؟ ومن اين الوسائط ؟ وبمن سوف يتعلق ؟ ودنا ... ارتأى على القسم الاول (من السؤال) ، بالايجاب . وبأسرع وقت ممكن . وعن الثاني ؛ سوف يتدبر الامر لدى امتحان قضايا القاصد الرسولي . ووافق الكرادلة الآخرون على الرأي جوهرياً . ارتأى احدهم باعطاء تعليمات الى القاصد الرسولي . وقال آخر بالاسراع وعدم المماطلة ؛ وقال بانه يبدو امراً نافعاً جداً لتكوين المعهد الجديد ولسيره الحسن استدعاء بعض الكرمليين الثلاثيين من الملبار الى كلدو . فرد عليه الكردينال المقرر بان ذلك ليصعب جداً ... واما الشك السابع فلم يلقَ سوى جدال قصير : كون الكردينال المقرر لفت انتباه الكرادلة الى كون البروباغندا كانت قد اعطت امراً منذ عدة سنين الى القاصد المونسنيور امانتون بالتنازل عن دير مار كوركيس للبطريرك ... وقد لاحظ البعض بانه على الكردينال الناظر تقديم بعض المال ايضاً كمادة تعويض » (Ibidem) .

ونعود فنذكر بعض الرسائل التي توضح لنا تطور هذه القضية بنوع اكبر . فثمة رسالة من المجمع الى القاصد امانتون في ٧ كانون الثاني ١٨٦٠ جاء فيها :

« أن ثمة قضايا اخرى يقدمها مشروع المعهد الطائفي الذي باشر به ولم ينجزه سلفكم المتوفي . فالبطريرك يقدم ادعاءات بشأن ملكية البناية ويريد ان تكون الادارة له . وعلى ما يقال فان الاساقفة تلاميذ البروباغندا يعضدون هم ايضاً ادعاءات السيد اودو» (Prop., Lett. 351 (1860) f. 10v) . وفي رسالة اخرى للمجمع الى الاب الدومنيكي منصور ليجيه مسطرة في التاريخ عينه نقرأ ما يلي : « واما عن المعهد الطائفي في مار كوركيس فانتم تجلبون انتباهي اولا الى النفقة الباهظة التي لا يزال متوجباً القيام بها . ولكنني لست اتمكن من اعطاء جواب شاف الآن كوني لم استلم حتى اليوم قائمة النفقات والمال الذي تركه المونسنيور بلانشيه الطيب الذكر ، فلا اعرف ما بوسعي الاستناد عليه . غير انني حالما اجمع المعلومات المطلوبة فسوف أعطيكم خبراً . واما عن ملكية عمارة المعهد التي يجادل عليها البطريرك السيد اودو ، فانتم من دون ان تنقضوا بصورة مباشرة الادعاء هذا ، عليكم ان تصرحوا له بان المعهد هو تحت وصاية المجمع المقدس ، وبالتالي ، فتحت ممثل المجمع اي القاصد الرسولي في ما بين النهرين او من هو منابه » (Ibid. f. 11) .

واما الاب ماركي الدومنيكي فيعطي حكماً مغايراً على الامور . فهو يكتب الى الاب العام لرهبنته في ٢٢ حزيران ١٨٦٠ بقوله : « انا اعتقد بان المرسل الذي تركت عنده مفاتيح ذاك الدير المشؤوم مار كوركيس لو كان سلمها مع التحفظ الواجب اجابة الى اللجاجات الملحة التي صارت له ، لكانت الرسالة (الدومنيكية في الموصل) ستمنح الثقة للكلدان » . ثم يتقدم بجملة اقتراحات فيقول : « على المونسنيور امانتون قبل وصوله الى الموصل ، اذا ما كان الوقت يسمح بعد بذلك ، ان يعيد للبطريرك الكلداني دير مار كوركيس المرمم ، فهو حجرة عثرة ، ولذا ينبغي قلعها على عجل ، سيما بعد ما طولب به بحرارة » (Acta Prop. Nror. 2 (1864-5) f. 170-170v) . ثم يواصل بقوله : « واذا ما عدنا الى امانتون فعليه ، بحسب رأيي ، ان ينهي طلب استرجاع مار كوركيس . ان ثمة قضية استرجاع دير قديم غصب بنوع غير فطن ، بل وعليّ ان اقول ، بنوع غير عادل . وانا لو لم تكن تصرخ في اذني العبارة — ارحم الميت — لكنت العن عناد الاب بلانشيه الذي كان أصم دوماً عن سماع التنبيهات التي اعطيت له ، سواء في عدم اشغاره ، وسواء في ترجيعه لمن بيده الحق عندما طولب به بشدة . بيد ان الامر قد تم ، وليس من دواء آخر في سوى التكفير وذلك باعادته ، ومن غير اعتبار للنفقات التي صرفت على ترميمه . وان الترجيع هذا ينبغي ان يطيح بالمشروع الاهوج ، اي باقامة معهد

في ذاك القفر وبذاك النوع المكروه الذي اريد به تحقيقه ، اي كحجر عثرة وكعاكسة للرسالة » (Ibid. f. 171v) . وللمجمع رسالة الى امانتون في ٣٠ حزيران ١٨٦٠ يعلمه بان الاب ماركي « يقدم رأياً في التنازل عن عمارة المعهد المبني من قبل المونسنيور بلانشيه الى البطريرك ، لاسيما والموضع هو غير صالح» (Prop., Lett. 351 (1860) f. 384) . وفي رسالة اخرى له في ١٥ ايلول ١٨٦٠ يكتب المجمع الى القاصد . « ان الاب الاقدس قد منح الصلاحية الضرورية لسيادتكم لكي تصير في صالح الكلدان عمارة مار كوركيس المشيدة من قبل المونسنيور بلانشيه ، وبشرط ان تعدوا ، سيادتكم ، موضعاً آخر لجعل منه معهداً ثابتاً » (Ibid. f. 602v) .

وبعد بلانشيه يستلم تحقيق مشروع المعهد البطريرك اودو بنفسه ، يساعده في ذلك بعض اساقفته . فهم يتخذون في هذا الشأن قراراً حاسماً ابان اجتماعهم في دياربكر في صيف ١٨٦٠ . ونحن نلقي ملخص اعمال هذا الاجتماع في رسالتي البطريرك والاساقفة الى المجمع والبابا ، الاولى في ١٦ تشرين الاول ١٨٦٠ جاء فيها فيما يختص بالمعهد بانهم قد قرروا « فتح المعهد الذي اعده القاصد بلانشيه » ، اذ انه « على طلب الطائفة كلها ، ولا سيما الاساقفة الذين ساهموا بذلك على قدر امكانياتهم ، قد دبرنا افتتاح معهد صغير لبعض انفار من شبان صالحين ليحلوا محل الاقليروس الطائفي . لذا ارسلنا الاساقفة الى المونسنيور امانتون لطلب المعهد المبني في دير مار كوركيس من قبل المونسنيور بلانشيه مع الكتب والاسرة وآلات الطهي واغراض الكنيسة وكل غرض آخر خصصه بلانشيه لهذا المحل المقدس المذكور قبل سفره. فرد سيادته : «ليس للكلدان اي حق على هذه العمارة ، فهي من ملكنا وتحت سيطرتنا وحماية القنصلية الفرنسية ؛ واذا لا يطيب هذا لكم ، فبوسعكم الالتجاء الى الحكومة ... ولقد صرح بمثل هذه الاقوال عينها نائب القنصل الفرنسي في رسالته الينا ؛ والتي يمنعنا فيها من دخول الدير ويصرح بانه تحت حماية العلم الفرنسي . ويهدد بانه سوف لا يترك امراً يقوم به لمعاقبة من يخالف المنع هذا . ومع اننا كنا نقدر ان نحصل شرعاً على المعهد المذكور ؛ فقد امتنعنا عن رفع الامر الى الحكومة احتراماً لشخص القاصد ، فبقت القضية معلقة ... ولكننا قد صممنا كلنا معاً ، ونحن اليوم على وشك افتتاح معهد جديد في كنيسة مار اشعيا في الموصل ، ونأمل باننا في الربيع سنعلم اللاتينية ايضاً والايطالية » (Acta Prop. Nror. 2 (1864-5) f. 183v-5) . واما الرسالة الثانية فهي موجهة الى البابا في ٢٤ تشرين الثاني ١٨٦٠ وفيها يقول البطريرك واساقفته : « لقد اوصينا المواصلة بان لا يتدخلوا في قضية الاغراض المهداة

والتي تركها في المعهد الجديد في دير مار كوركيس القاصد السابق بلانشيه ، وحتى في ما اذا كان في نية القاصد ان يفعل او يصنع ما يشاء وبحسبما يهواه ، بل يتركوا لنا حتى بحث القضية معه . ولقد احترم الاهالي هذه الاوامر ، والاّ فلما كان يقدر (القاصد) ان يجرّد تحت انظارهم كنيسة الدير من جميع اثاثها الذي بقي فيها بعد السلب الاول الذي قام به الآباء الدومنيكان المحترمون. اما بأي حق فعل هو وهم ذلك ، فلسنا نعلم . وليس لنا معرفة بان هذا الامر قد تمّ بأمر من قبل المجمع المقدس ، او لكونهم ورثاء شرعيين لبلانشيه المتوفى . كما ونحن نجهل بان لم رخصة بابوية تؤهلهم ان يغيروا في كنائسنا املاكاً قدمت خصيصاً لموضع مقدس مـا او لكنيسة او دير الى موضع آخر والى استعمال مغاير . وهم لا يتنازلون حتى بالرد علينا عندما نسألهم خطياً لماذا قد نقلوا الى غير موضع الاغراض المستحصلة بنوع مشروع والتي هي لذلك الدير والمعهد . لا ريب ان فعلاً عدائياً كهذا من قبل القاصد والآباء الدومنيكان قد ترك كبير الاثر سواء لدى الاقليروس وسواء لدى شعب المدينة . اذ غضبوا شديداً وتشككوا الى حد انهم باتوا يفضلون اضطهاداً من قبل الغير الكاثوليك.. وبعد وصولنا الى الموصل ، واذ طلبنا بكل لطف مفاتيح المعهــد من القاصد لادخال التلاميذ الجدد ، اجاب بتصريح خطي ورسمي بانه بصفة قاصد رسولي يمنعنا بشدة من التردد اليه او دخوله او اي ادعاء آخر للقاصد وحده الحق عليه كما وبانه موضوع تحت العلم الفرنسي . ولقد اعتبر عوام مختلف الطقوس الصنيع هذا المتهوس كفعل اهوج وعدائي علني . فاي خير يمكن ترجيه من انسان هو بهذا الروح ؟ . وان منع قنصلية فرنسا الذي يصدنا عن التردد الى المعهد ولا يسمح لنا حتى بترميمه وتجديد السطوح كي لا ينفذ الماء من خلال شقوق الحيطان وحتى الاساسات الغير العميقة . حتى لقد اكد لنا البناؤن بان تلك العمارة ان بقت على حالتها فسوف يتلف ثلثاها في الشتاء . وهذا الضرر المحتوم انما تسببه للطائفة محبة صاحب السيادة المونسنيور امانتون بمشورة رفاقه الدومنيكان وهو لم يعتبر غير ميول نفسه ومشورة الابوين بسّون وليجيه الحاقدين كوننا لم نعهد اليهما بادارة مدارسنا الطائفية للاحداث والمعهد الاكليريكي المفتتح حديثاً في الموصل في كنيسة مار اشعيا » (Ibid. f. 192-3) فالمعهد قد افتتح اذاً قبل تاريخ هذه الرسالة بقليل ، وفي الموصل هذه المرة ، في كنيسة مار اشعيا .

وثمة رسالة كتبها المطران بطرس ميخائيل برتتر الى المجمع في ٢١ تشرين الاول ١٨٦٠ ذاكراً القرارات الثلاث التي اتخذها البطريرك واساقفته في اجتماعهم . وهو يسطر تحت القرار الثاني ما يلي: « ولا سيما مدرسة الاقليروس ، او المعهد

الطائفي ، فلا يراد بأي نوع كان تسليمه الى الآباء المذكورين (الدومنيكان) ولا الى القاصد حتى ولو كان ملاكاً من السماء ، بل سيكون عائداً دوماً الى البطريرك والاساقفة . ولقد جرى الجزم على افتتاحه والذي قد تمّ فعلاً . وسوف يصير الدخول اليه في هذه الايام بالشبان المستعدين ثم يهرع اليه فيما بعد المرشحون المعينون . ويراد التمسك به مهما كلف الامر ؛ وحتى اذا ما اضطر البطريرك والاساقفة الى الاستعطاء . واما الشعب فيهلل » (Ibid. f. 188v) .

ونحن نتأكد ايضاً من افتتاح المعهد من رسالة للبطريرك اودو سطرها من روما في ٧ ايلول ١٨٦١ الى المطران برتتر . فبعد ان يأمر البطريرك المطران المذكور بوجوب مغادرته الموصل ، تلبية لاوامر المجمع والبابا ، يواصل القول : ولكن « بشرط ان لا تغادر الموصل قبل ان يصل اليها القس لويس شوريز الذي كتبنا له ليأتي اليها ، حتى لا يبقى بدون معلم ومدير معهدنا الجديد الذي هو عزيز على قلبنا جداً » (Ibid. f. 209) . واذ يكتب البطريرك في التاريخ عينه الى الكاهن لويس شوريز بالابتعاد عن بغداد ، يدعوه الى الموصل « حتى لا يبقى المعهد بدون معلم ومدير . فحين تصير رسالتنا هذه الى يديك ؛ نريد ان تنتقل من بغداد الى الموصل لادارة الكلية بحسب غيرتك وبكل اهتمام » (Ibid. f. 209v) . ونقرأ في رسالة البطريرك الى الكلدان المسطرة في روما ايضاً في ٢٣ ايلول ١٨٦١ : « لقد لقينا نيافة ناظر المجمع المقدس مستعداً لمساعدتنا كي تبلغ الكلية المنشأة حديثاً الى غايتها المنشودة » (Ibid. f. 211) .

ولكن ما يلبث المعهد ان يسد مرة اخرى . فالبطريرك في رسالته العربية الى المجمع في ٤ آب ١٨٦٢ يقول : « لقد سمعتم بان الكلية في الموصل قد سدّت مؤخراً . والسبب الاول هو لان المونسنيور خياط لم يرضَ المكوث، بل طالب بالنفقة كالعام الماضي ، والطائفة لم تساعد بشيء في هذا العام كون رغبتها (قضية الملبار) لم تنفّذ ، فامتنعت عن تسليم النفقة المخصصة التي سلمتها في العام المنصرم ، ولذا اضطررنا الى اغلاقه مؤقتاً » (Ibid. f. 227) . وبوسع هذا ان يدلنا على تعيين المطران خياط مديراً للمعهد ، لربما بعد المطران برتتر ؛ وليس القس شوريز على كل حال كما كان علينا ان نفهم من رسالتي البطريرك الموجهتين من روما الى برتتر وشوريز . وأما ابعاد المطران برتتر عن الموصل ، وبالتالي فعن ادارة المعهد ، فهو متأت رسمياً عن امر صادر عن روما ، واما فعلياً فبسبب نفور نشب بين البطريرك والمطران المذكور . وليس لنا وثائق عن تفاصيل هذا النفور سوى ما جاء في رسالة للمطران السرياني على الموصل بني ، ونقلت في نص الجلسة العامة للمجمع المخصصة للقضية الكلدانية

عام ١٨٦٥ حيث نقرأ ما يلي : « نفر برتتر من بطريركه ... وهذا اذ لم يكن له ما يحافظ به على المعهد الحديث الولادة ، كان عليه القيام بخطوة واحدة ، اي يسوقه من المهد الى اللحد . وهكذا انطفأ ، بعد اشهر قليلة من حياة رزية ، ذاك معقل الطائفة الكلدانية وأمل الشعوب المبارية . فأمر البطريرك برتتر بالابتعاد عن الموصل ؛ ولكن هذا طالبه بثلاثمائة فرنك كان صرفها لدى تدبيره للمعهد . واذ لم يستجب البطريرك ، باع برتتر علانية جميع اثاث المعهد ... فصارت فضة رنانة ، وحمل كتب المعهد القليلة ليأخذها معه . واذ شعر البطريرك بذلك ، هرع الى ميدان الحرب ليعمل بنوع ما على خراب المعهد المهجور ... وكادت القضية تنتهي لدى المحكمة المدنية لو لم يتدخل بعض الاشخاص (Acta Prop. Nror. 2 (1864-5) f. 47v).

واما دير مار كوركيس فقد ترك امر اختياره كمعهد نهائياً . فالاب الدومنيكي دفال في رسالة له الى المجمع في ١٠ تشرين الثاني ١٨٦٢ يكتب : « أن دير مار كوركيس الذي منحه البطريرك الى اهالي الموصل هو مبعوث بهجة لهم ، كونهم يقضون فيه موسماً» (Prop., SR Mesop. - Persia 22 (1864-74) f. 116v). وبقيت قضية الاغراض كما رأينا سابقاً ، وكما سنرى .

وان انغلاق المعهد في كنيسة مار اشعيا لن يضعف من فكرة البطريرك اودو ولن يحبط همه في سبيل تحقيق هذا المشروع . فنحن نقرأ له بعضاً من تشكياته من الكردينال الناظر في رسالة بعث فيها الى المجمع في ١٣ تشرين الاول ١٨٦٢ يقول فيها : « اين هو تأكيدكم بانكم ستعطونا مار كوركيس برمته مع الاثاث التي تركها فيه المونسنيور بلانشيه الطيب الذكر؟ اين هي وعودكم بانكم سوف تدبرون الوسائط لانشاء كلية لتثقيف الكنسيين؟ اين هي اقوالكم بانكم سوف تجعلون عبد يشوع (خياط) يتنازل عن ابرشية العمادية لوضعه معلماً ومهذباً في الكلية ومساعداً في شؤون البطريركية؟» (Acta Prop. Nror. 2 (1864-5) f. 234v).

ونحن نفهم جزءاً من دواعي انفعال البطريرك عندما نقرأ رسالة المجمع الى امانتون الموجهة في ١٢ كانون الثاني ١٨٦١ وفيها يمتدح كاتم اسرار المجمع سلوك القاصد بقوله : « لقد صنعت جيداً في عدم استعمالك الصلاحيات في التنازل للكلدان عن عمارة المعهد لانهم لم يستحقوا هذه الهبة» (Prop., Lett. 352 (1861) f. 16) .

وعندما نعرف من الجلسة العامة للمجمع لعام ١٨٦٥ والتي كان القسم الكبير منها قد اعد منذ ثلاث سنوات واكثر ، بان فكرة روما كانت مغايرة تماماً لفكرة البطريرك والكلدان بصدد المعهد، وعندما نعرف ايضاً بانه بعد انتهاء قضية العمارة بقي النزاع قائماً على الاثاث . فالبطريرك في رسالته الى السيد محاسب الماروني ،

الذي كان مترجماً له في روما عام ١٨٦١، يشرح بالتفصيل قضية الاغراض هذه. والرسالة هي مؤرخة في ٨ حزيران ١٨٦٣، جاء فيها: «لقد سلم لنا القاصد كليـة مار كوركيس ولكن من دون الاثاث الذي تركه المونسنيور بلانشيه والذي كان فيه قبلاً ايضاً كتركة اوصى بها المحسنون. وهوذا قائمـة الاغراض الناقصة: ثلاثة صلبان فضة كان المونسنيور بلانشيه قد كسرها وعمل منها حُقّاً كبيراً. عشرون شرشفاً. عشرون وسادة. عشرون وسادة كبيرة. عشرون محامل أسرّة بوسعها ان تستخدم سواء كمحامل اسرّة وسواء كأسرّة كاملة التركيب. طنفستان. خمسة صحون معدن. ستة شمعدانات كبيرة. ستة شمعدانات صغيرة. صليبان كبيران والخ. هذه هي الاغراض ما عدا المناضد والكراسي والكتب والخ. التي لا يعرف لاعددها ولا نوعها والتي حملها في غياب المونسنيور القاصد من الكلية» (Acta Prop. NR OR. 2 (1864-5) f. 243).

ثم في رسالة البطريرك الى المجمع، والتي ترجمها الى الفرنسية وعلّق عليها المونسنيور امانتون، والمسطرة في ٢ آذار ١٨٦٤، نقرأ ما يلي: «وأما عن دير مار كوركيس فحتى الآن لم يريدوا ان يعيدوا الينا غرضاً واحداً من الاغراض التي ادعينا بها، مع انها قد خصصت لمار كوركيس. والاب دفال هو الذي رفعها من هناك». فيعلق القاصد بقوله: «الاب دفال لم يرفع شيئاً من مار كوركيس، بل انه الاب ليجيه في بادئ الامر، ثم انا. ولي قائمة بالاغراض التي تركها سلفي تحت تصرفي، قائمة كتبها عن تقريره الاب ليجيه وبحضور المطران السرياني على الموصل». ثم يواصل البطريرك في رسالته بالقول: «انـه لصحيح بان الشماس رافائيل في نيته اقامة مدرسة اكليركية على حسابه، لكننا لا نعرف لمن سيعود امر السهر على هذه المدرسة؛ ومن سيكون المعلم الذي يريد ان يذهب من طرفنا. فان اكثرية الشبان والبواعث هي عندنا؛ والاقامة في دياربكر لا توافق شبابنا. فاذا ما انوجدت المدرسة البطريركية فعليها ان تكون قريبة منا. كما ولا يوجد هناك معلمون. وبيان على كل حال بان القضية هي متعلقـة بالشماس رافائيل وبمطرانه. ونحن نجهل حتى الآن اي دور سيكون لنا. نكتفي بتذكير نيافتكم بانكم وعدتمونا بالمساعدة لتشييد مدرسة بطريركية انتم تتمنونها؛ ولكن اين المساعدة؟». ويعلق القاصد هكذا: «وبصدد المدرسة البطريركية او المعهد، فان البطريرك يأتي على ذكر وعد لنيافة الكردينال الناظر. انا اجهل في ما اذا كان نيافته قد ارتبط بوعد من هذا القبيل؛ ولكني اعرف جيداً بان الاساقفة الكلدان منذ يوم التئامهم في مجمع ربان هرمزد كانوا قد طلبوا الى سلفي ان يفتح ويدير هذه المدرسة الاكليركية بحسبما يراه، لانهم ارتأوا ذلك

امراً لا بد منه كونهم اقروا بانه لا طاقة لهم على ذلك. واعمال المجمع تشهد بهذا. ولاتمام هذا الطلب قد قامت القصادة بنفقات ذات اعتبار، والمجمع المقدس يعرف ذلك. ومنذ ذاك الحين، وسواء بسبب الطلب، كما ونظراً الى النفقات من الجهة الاخرى، فقد صار الاساقفة الكلدان ملتزمين تجاه القصادة. وانا لست اعتقد بانه بالرغم من كل شيء قد سحب نيافته عن القصادة المشروع الاهم ليسلمه الى الكلدان الذين لا يفكرون في امر تحقيقه والذين لن يتأخروا عن اشباعه بروح كريهة في هذه الظروف الحالية». ويتابع البطريرك القول في الرسالة عينها «كما ونطلب ان تلقوا العلاج للمدرسة البطريركية وتؤمنوا لها النفقات لان ثمة افراداً بالكفاية لافتتاحها الآن» (OR., SR Caldei 2 (1867-74) f. 386, 392).

فنحن حيال وجهتي نظر بخصوص المعهد. الاولى هي وجهة نظر القاصد الذي يذكر قرار مجمع الربان هرمزد متناسياً بان وجهة نظر الكلدان قد تغيرت تماماً على اثر النزاع الذي قام بصدد دير مار كوركيس. وان وجهة نظر القاصد امانتون هي وجهة المرسلين الدومنيكان ايضاً، والتي لا يعتم المجمع ان يتبناها لا سيما في قراره المتخذ ابان جلسته العامة عام ١٨٦٥. ولذا، فبينما تريد روما تأجيل امر تحقيق المشروع، للاسباب التي نعرف، وكما نفهم من رسالة الكردينال الناظر الموجهة الى البطريرك في ٢١ ايار ١٨٦٤ اذ يكتب: «ان بحث امور كثيرة... كانشاء المعهد... التي تحدثني عنها، ينبغي ان تترك الى ظرف اكثر مناسباً، اي عندما تعود احوال البطريركية الدينية كلها الى استتبابها ومجراها» (Acta Prop. Nror. 2 (1864-5) f. 261v). نلتقي البطريرك من الجهة الاخرى مصمماً وساعياً بكل جهده نحو تحقيق الفكرة وافتتاح معهد ثابت. فهو يكتب الى المجمع في ٦ حزيران ١٨٦٤: «واما عن المطران عبد يشوع خياط فنحن قد ارتضينا منذ البدء عن تنازله عن الابرشية، لان الاسباب الصحية التي كانت تمنعه آنذاك من السكنى في الجبل قد ازدادت الآن... حتى بات املنا ضعيفاً بان قواه ستسمح له بافادة الطائفة في هذه البلاد بسوى التعليم والتهذيب، ولا سيما الآن وقد دبر الله امر قيام الكلية ونصب مطبعة في هذه ضواحينا بهمة ونفقات المحسن الاكليريكي رافائيل ابن الكاهن بطرس ماجي (مازجي)، والتي يقتضي لها اشخاص مختصون علماء وافاضل» (Ibid. f. 266v).

ونلقانا هنا حيال مشكلة لن نتوصل الى حلها باعتمادنا وثائقنا هذه وحدها، فبينما يتردد على ألسن الجميع لقب هذا الشماس رافائيل مازجي «المحسن الاكبر» للمعهد الكهنوتي البطريركي الكلداني، والكتابة فوق ضريحه هي ايضاً تشهد

بذلك. نرانا غير قادرين باعتمادنا الوثائق التي لنا تحديد معالم بيّنة عن شخصية هذا الرجل وعن اعماله فيما يختص بتأسيس المعهد بصورة خاصة . وان السبب الاكبر في تعقيد الامور هي قضية ارث آل مازجي . ولذا فسنروح نذكر اهم ما جاء في تضاعيف مجلدات خزانات المخطوطات التي قلبناها ، ثم نحاول ان نستنتج الثابت الاصيل باعتماد غير مصادر ايضاً ، كون النقص في المعلومات هو بيّن بوضوح في القضية هذه . ونحن نعرف من الرسائل التي ذكرناها حتى الآن بان اسم الشخص هذا هو رافائيل وبان اباه هو الكاهن بطرس من آل مازجي ، وبانه شماس ، وفي نيته اقامة مدرسة اكليركية على حسابه ، ولكن في دياربكر ، كما وقد نصب مطبعة ايضاً .

وفي تقرير امانتون الذي قدمه الى المجمع في ١٢ تشرين الثاني ١٨٦٤ نقرأ ما يلي : «كنت اعنى بايجاد واردات لاقامة معهد . بيد ان القلاقل التي تلت قضية الملبار لم تسمح لي بتنفيذ مخططي . اما اليوم فثمة رجل كان منتمياً الى رهبنة دينية ، كلداني ، يريد تخصيص ثروته لتأسيس معهد للطائفة ولتركيز مطبعة قد وصلت لوازمها كلها الى الموصل . غير ان ثمة خطراً كنت قد اعتقدت انه من واجبي عرضه على نيافة الكردينال الناظر منذ العام المنصرم ، وهو ان الكلدان الذين لم الفهم الكافي لتثقيف كهنة ، هم متشبعون بروح خبيثة بل ولقد اظهروا اكثر من مرة مشاعر سيئة . ولذا فلست اتردد من جهتي بالقول انني لا زلت افضل كهنة اليوم الجهلة والمرتجلين » (Acta Prop. Nror. 2 f. 206 (1864-5)) وثمة رسالة بالايطالية موقعة من قبل «الشماس رافائيل مازجي» عينه ومعنونة الى المجمع بتاريخ ٧ ايار ١٨٦٦ نفهم منها بان « المطبعة هي سائرة تحت رعاية سيدنا البطريرك الجليل والمراقبة المباشرة من قبل المطران كوركيس عبد يشوع خياط تلميذ البروباغندا السابق واللاهوتي الاكبر واللغوي في هذه الطائفة. وانا اسعى لافتتاح المعهد تحت قيادة البطريرك الجليل والمطران المذكور... ولافتتاح المعهد هذا اطلب بركة الاب الاقدس ورضى نيافتكم ... وانا اكرس اتعابي واموالي بواسطتكم مقدماً باختياري وبطيبة خاطر لمنفعة اخواني الكلدان الروحية بموافقة قداسته ونيافتكم » (OR., SR Caldei 1 (1862-66) f. 1003v) فالمثري رافائيل مازجي الكلداني، والذي كان راهباً فيما سبق ، قد نصب مطبعة وهو يصرف الهمم في انشاء معهد كهنوتي . ولكن ما تعتم ان تقودنا الوثائق الى نهاية عام ١٨٦٦ ومطلع عام ١٨٦٧ فتلقينا في بحر مشاكل تتعلق اغلبها بقضية ارث آل مازجي .

ففي نسخة من رسالة البطريرك اودو موجهة بالعربية في ١٦ كانون الاول

الى « صاحب السعادة قايمقام ايالة الموصل »، نقرأ « المعروض الى سعادتكم ان المتوفى الراهب رافائيل لما كان في قيد حياته قد وقف لفقراء ملتنا المقدار المعين من النقود التي كانت ملكه وبتصرفه وصارت هذه الوقفية بعد وفاته محكوماً بها مسجلة في محكمة الموصل على اطلاع مجلس الايالة كما لا يخفى على علمكم الشريف وكان الراهب المرحوم في قيد حياته بموجب (درايته) قد قرض مبلغاً معلوماً من الدراهم الموقوفة لاجل الاسترباح لنفع الوقف وصارت في ذمة اناس معلومي الاسامي بموجب السندات التي هي اليوم عند حاكم افندي دياربكر فبمقتضى نظارتنا العامة على جميع اوقاف ملتنا المنعم بها علينا بالبراة الشاهانية وطبقاً لحكم الشرع الشريف في هذا الشأن نستدعي ان هذه الديون التي هي من ضمن الوقفية ليس لاحد سوى متولي الوقف حق ان يدّعي بها ويقبضها ويتسلمها بالوجه الشرعي ونحن مستعدون ان نعين في دياربكر وكيلاً شرعياً من طرفنا وطرف المتولين مع اقامة البينة على حكم الحاكم الشرعي في حق هذا الوقف ومن حيث قريباً وصلنا من بغداد ويقتضي (مدة) زمان لاجل اتمام هذا العمل وعلى كل حال فنستدعي مسترحمين ان كلاً من المديونين لا يسلم لاحد شيئاً من المبلغ الذي بذمته لغير متولي الحق وان هو يسلم شيئاً لغير هذا الوقف فعليه الضمان وعلى ذلك نسترحم من سعادتكم ان تحرروا خطاباً الى المشير الافخم والى كردستان طبق هذا الاستدعاء ولكم الاجر عند الله » (Or., SR Caldei 2 f. 1124 (1867-74) وفي الصفحة عينها نسخة من الرسالة التي وجهها بالتركية قايمقام ايالة الموصل الى والي كردستان استجابة الى طلب البطريرك .

وثمة رسالة اصيلة للبطريرك اودو حبرها بالعربية في ١٧ كانون الاول ١٨٦٦ الى مار بطرس دينطالي مطران دياربكر يقول فيها : «ان المادة المبسوطة مادة وقفية المثلث الرحمة رافائيل معلوم لدى خوتكم المحترمة كم هي ثقيلة نظراً الى الذمة والالتزام بموجب وظيفتنا ... ونحن لا نريد ان نصدّق ان افكاركم هي بخلاف هذا يقيناً لانه غير ممكن ان نصدق القايلين عن سيادتكم ان اصل الحركة هي من تراخيكم ... لكن لا نقدر ان نفهم لأي سبب انتم ساكتون في وسط هذه الغايلات هل لا تلحظون ان في هذا سكوتكم ذنباً جسيماً قدام الله ؛ هل لا تعلمون بنفوسكم طبعاً من ذات وظيفتكم محامون اوقاف البرّ وانكم طبعاً من ذات درجتكم وكلاء عوضنا في كل مادة تقع مثل هذه عائدة الى الوقف وبيت الله او ما تصدقون بحق هذه الوقفيّة لكن ان كان هذا عذر على ظنكم فنقول ان هذا العذر اعظم من الذنب اما ان كنتم حسب الواجب مصدّقين ومتحققين فلماذا هذه قلة الاعتناء لما تسلمتم الدفاتر والسندات باسمنا لما لاحظتم

القاضي يريد ان يضبطها وعتيد ان ينصرّ الوقف من ذلك ونحن ما نقدر نفسّر على المرام العلل التي تتعللون بها للمجاوبة على ذلك فضلاً عن الاعتراضات الكثيرة التي ضرّت باعتباركم قدام العارفين ومن اجلها لا تتبررون قدام الله ولا قدام ديوان الكنيسة المقدسة ... فالآن لزوم ان تعالجوا بكل جهدكم لاصلاح هذه الاضرار وهوذا قد حررّنا في الصدد تحريراً ملايماً الى قاضي طرفكم كما قبلا بالتلغراف مختصراً وقد يصدر تحرير خطاب من قايمقام طرفنا الى مشير طرفكم بهذا المعنى... واذكروا من جملة الاعتبارات انه لو المرحوم كان يبقى عازاري ويسلّم ماله لم ولا ينطوي الى اجراء خيره وماله لنفع ملته فهل كان احد الورثة يصيبه شيء يجاسر على المداعاة من العازاريّة بشيء؟ فاين الغيرة اذا على خير طايفتنا واين واجبات الذمة فنريد اثباتاً لصفاوة انقيادكم لهذا التحريض ان تجمعوا اولاد اكابر جماعتكم في مجلس خصوصي وتحرضوهم وتحثوهم بل تلزموهم على القيام قاطبة بالغيرة والحمية لمحاماة الوقفيّة المقدسة » (Ibid. f. 1165) . ويكتب البطريرك في ختام سنة ١٨٦٦ الى المطران المذكور : « وقد اغتممنا جداً عن اخباركم بما فعل القاضي بطرفكم في ضرر الوقفية ولكن كيف تقولون انه بتاريخه اخذ السندات من الخواجات كشيشي اوغلي مع انه من جملة بوستات هم المذكورين حرروا انه اخذها منهم فنتعجب كيف ما كان لكم خبر فبيان ان هذه المادة ما هي على قلبكم... ومنتظرين جوابكم لنعلم كيف نعاملكم لانكم تظهرون نفسكم خارجين عن الالتزام بمحاماة وقفيّة البر الكنايسية ... ولولا الشريعة فهل الذمة ليست كافية لان تلزمنا بصيانة مال الوقف الى آخر نفس وهوذا الحبر الاعظم مستعد لان يحتمل كل شيء ولا يرضى بسماح شبر واحد من الاملاك التي هي بحساب الوقف عندهم . ولكن كذا اشياء جنابكم لا تفهموها ولا تحسبوها بشيء » (Ibid. f. 1166) .

ثم يسطر اليه في ١٤ كانون الثاني ١٨٦٧ قائلاً : «وعن المكتوب للمشير والى طرفكم والى القاضي فما تعرفونا ما صار منهما وكيف انقلبت واين جوابهما لنكون على بصيرة بل عوض هذه تمدحون نفسكم بالباطل لان من فم شهود تحققنا انكم اعطيتم طريقاً للورثة للقيام للدعوى... وما تعرفون انه اذا صار ضرر للوقف بلا ذنبنا فنحن بريئين قدام الله ولكن ان تفرّضنا (كذا) بمال الوقف او صنعنا خلاف الغاية الموضوعة فما نتبرّر فالحمد لله ليس لنا سابقات في التفرّض بمال الله لمنافع دنيوية او لاهلنا... وجنابكم وصلتم الى هذا الحد من عدم حتى تكلمونا كلاماً لا يطلع الا من فم السفهاء... فاعلموا ان الرجال المعتبرين المتولين على هذا المال ما يلزمهم مدح مغرض بل هم معلومين ... ونحن اقتضى

ان نرسل نسخة الى الخواجات كشيش اوغلي لعلمنا بعدم همتكم بكذا مصالح» (Ibid. f. 1167) . وفي رسالة اخرى الى المطران دينطالي يكتب البطريرك في ١١ شباط ١٨٦٧ قائلاً : « نعلمكم انه من مدة طويلة تتقدم الينا شكايات معتبرة عليكم من جهة معاملتكم وسلوككم مع اوليك اولادنا الذين في دياربكر وتحت رعايتكم الابوية وبهذه الدفعة ايضاً من ذوات معتبرين تقدم مضبطة عليكم ويشكون من ان سيادتكم تعرّضتم ومنعتموهم لما ارادوا المحاسبة على اطلاعكم من وكلاء وصية المرحوم بدوش حتى بالتغضيب والطرد والضرب اوصلتموهم الى المحكمة المدنيـــة وفي كل هذه المدة ما استنسبتم ان ترفعوا المادة الينا ولا ان تخبروا بها ونسيتم ان هذه مادة الوقف تخص وظيفتنا رياسياً ... فننصحكم ونناشدكم بالرب اولا ان ترفعوا المنع من على هؤلاء ... ثانيـــاً ان تخبرونا عن الواقع تفصيلاً ولاية غاية ادخلتم السيد القاصد في هذه المادة ... ولاي سبب ما قبلتم عرض المادة من البداية الينا كما تقتضي الفطنة ... ثم اخبرونا تفصيلاً اين تلفت مقدار مابين الف من اصل رأس المال من الوصية على امركم . وما دام الامر كذلك فنريد من الآن فصاعداً نرتب نظاراً على الوصية عدا الوصي المعهود ونجزم قطعاً بأمر واضح ان لا ينصرف شيء من مال الوصية الباقي الا باطلاعنا واستحساننا السابق بالتصريح. كما حررنا ايضاً الى اولانا (كذا) الخواجات كشيش اوغلي (Ibid. f. 1169) . واما ما جاء في رسالة البطريرك اودو الموجهة الى المطران عينه في ١١ آذار ١٨٦٧ : «وقد نويتم على الذهاب الى رومية العظمى بموجب الدعوة التي لكافة الاساقفة الخ... ولكن اخونا المحترم في هذا الكتاب العمومي كما ترجم لنا وقريناه مشروط لاجل الذهاب ان لا يصد عن ذلك لزوم الرعية او غير موانع .والحال ما دامت ابرشيتكم على هذا الحال متموجة واغلب المعتبرين متنفرين وحاصلين على مقاصد قويّة على سيادتكم فما ينبغي الخروج من بينهم قطعاً . ونحن رسمياً نمنعكم من الذهاب لاجل هذه الظروف » (Ibid. f. 1168) . واما في رسالته اليه بتاريخ ٢٥ آذار ١٨٦٧ فيكتب البطريرك : «وخصوصاً نواكد ونكرر على خوتكم المحترمة ان تعلموا كل الجهد في اصلاح هذه القابلة الثايرة في تلك الجماعة ولاجل صيانة سلطانكم تجعلوا قبول الشروط والمطلوبات على يدنا . لانها محقة ولا يمكن رفضها من الجهة الواحدة ومناسب لا تكون الا عن يد الرياسة الكنايسية ... ولا سيما تمنعكم قطعاً من الذهاب الى رومية لانه لا يمكن قانونياً القرار بعد من بين الجماعة ومن بيتنا في حالة هذه الامور الحاضرة » (Ibid. f. 1170) . ولنا رسالـــة اخيرة للبطريرك حررها الى المطران دينطالي في ٦ ايار ١٨٦٧ جاء فيها : « ان المنازعات

بين الجماعة والخواجات كشيش تكون بعونه تعالى انتهت بالشروط التي يستحسنها الوكيل المقام منّا اعني القس لويس ... وأما الآن فقد حررنا له ايضاً تفصيلات في شأن هذه وكالته وبيّنا معنى نظارتنا اعني في كل سنة يتقدم علم الواردات والمصروف من هذه الوقفية . والنظار يكون على اطلاعهم المصروف المفردات وان يظهروا دفتر القديم ويصير عليه تدقيق بموجب الذمّة عن الوارد والشارد وصورة هذا الدفتر القديم نريد ان تتقدم لنا لنطلّع عليه . وجملة دفعات حررنا الى جانب اولادنا كشيش اوغلي . واما من جهة حساب البيعة مع حضرتكم فيكون القس لويس هو الوكيل ... على كل حال ليس عندنا استنساب لسفركم الى رومية في هذه الفرصة قطعاً » (Ibid. f. 1171) .

وفي رسالة اخرى للبطريرك قد حفظت لنا ترجمتها الايطالية من غير عنوان وتاريخ ، ولكنها من عام ١٨٦٧ ، نقرأ ما يلي : « انه بفضل النظارة العامة التي تختص بهذا الكرسي البطريركي على كل القضايا التي تحدث وبقصد تدبيرها بالعدل وحصول الخير عنها للانفس ، كما وبفضل المفروض علينا بخصوص الوقفيات الكنائسية ، ولتسوية وتسيير الشرع فيما يتعلق بوصية الطيب الذكر بطرس مازجي : نحتم ونأمر القيم على امر تنفيذها السيد ميخائيل كشيشي اوغلي : بان يسهر ويحافظ على التدابير المتخذة . بان تحترم الاوامر المعطاة بخصوص الوصية : ونأمر بان لا ينقل شيء من رأس المال ولكن من الارباح فقط : وان تستخدم الهمم كي يزداد رأس المال ولا ينقص ، فيستطاع شرعياً وجوازًا اتمام صلاح نية من اوقفوه : كونهم لم يوبسوا ذلك للنقل او الضياع ، بل حتى يثبت الخير الناتج عن ذلك . ولذا فنحن علاوة على وكيلنا : نعين كناظر الكاهن انطونيوس دلال كي يسهر هو باسمنا على تلبية الاجراءات هذه ، ومن غير ان يبطل اهتمامنا وعنايتنا نحن في السهر عموماً وخصوصاً ويترك لنا كل قرار او تدبير هام » (Acta Prop. NR Or. 4 (1868-9) f. 352) .

وبوسعنا اقتباس بعض المعلومات الاخرى من رسالة للبطريرك محبّرة بالعربية الى المجمع في ٢٥ شباط ١٨٦٧ وفيها نزداد علماً عن اجتهاد البطريرك في قضية المدافعة عن حق وقف الكنيسة من ارث آل مازجي ، اذ يكتب مار اودو : « وهكذا فتح المدرسة الاكليروسية متوقف على مساعدات النفوس لان متروكات المرحوم رافائيل مازجي قد اختطفوها المديونون والورثة . والمطران دينطالي عوضاً عن ان يعاون معنا لتثبيت حق الوقف اتفق معهم ... فلو تحضر الدراهم فما تتعسّر القوانين ولا المعلمين لان يوجد عندنا من تلاميذ المجمع يقدرون يديرون

المدرسة تقريبـــاً كما في المدارس الكاثوليكية المرضية » Or., SR Caldei 2)
(1867-74) f. 1275) .

ومن رسالة اخرى له الى المجمع في ٣١ تموز ١٨٦٨ نفهم ما يلي : « ومن جهة دياربكر الاختلاف الواقع بينهم لعلّة وصيّة بدوش علي كشيش اوغلي فاظن انه غير ممكن الراحة والاتفاق الاّ ان يصير وكلاء آخرون نظارًا على توزيع تلك الوصية وان يوضع حد انه لا يتوزع شيء الاّ من ربحها فقط ولا من رأس المال.وخصوصاً ما دامت نقوداً فصعب هو الامر الا ان تصير املاكاً وتؤخذ سنوياً حواصلها وتتوزع للخيرات بموجب الذمة واطلاع النظار ورعاة القانونين وقد مضا الى دياربكر القس جبرائيل بمقام زاير وفاحص من طرف حضرة القاصد نيقولاوس الجزيل الاحترام فان كان افاد على هذا المنوال فنعم العمل والاّ على غير صورّة لا يصير صلاح وما دام الحكم متعلقاً بقداسة الحبر الاعظم فنؤمل سريعاً يحكم ويقطع علّة الخصومة ... فالان يلزم قطع مادة كشيش اوغلي بموجب حكمنا الذي ذكرناه اعلاه » (Ibid. f. 1600) .

ونحن نلقى في اعمال مجمع البروباغندا لشؤون الطقوس الشرقية جلسة عامّة في الاول من شهر آذار ١٨٦٩ بحث فيها الكرادلة عن قضايا كلدانية ثلاث، كانت اولاها قضية ارث آل مازجي الموقوف. وهذا هو ملخص الجلسة هذه .

ان بطرس مازجي هو تاجر من دياربكر ، اوقف للكنيسة قبل وفاته مبلغاً من المال يبلغ زهاء ٤٠٠ الف قرشاً تركياً ، واوصى بان يكون الشماس اسطيفان مازجي ابن اخيه قيماً مطلقاً على المال يستخدمه بحسب فطنته . بيد ان هذا بعد ان دبّر الاموال مدة سنتين توفي في ٩ آب ١٨٥٨ بعد ان عيّن الاخوين ميخائيل واليا كشيشي اوغلو (كذا) على الارث، وذلك بحضور مطراني دياربكر الكلداني والارمني . وسارت الامور على هذه الشاكلة حتى يوم عنّ لبعض وجوه كلدان دياربكر الكلدان ان يسألوا البطريرك اودو والمطران دينطالي فيما اذا كان يحق لهم ان يقفوا على وضع الوقف، فرد عليهم هذان بالايجاب بغية اجتذابهم اليهما . لكن المطران دينطالي عقيب عودته من روما ، حيث كان قد رافق البطريرك عام ١٨٦١ ، شرع يصرح بانه ليس من حق الكلدان الادّعاء بالمال . فهدأ الوجوه ولكن فقط الى حين رفض الاخوان ميخائيل واليا قرض بعض المال لاخ القس بطرس عطار . فاشتكى بعضهم على الاخوين لدى المحكمة التركية ، واضطر الوقف ان يتكبد مبلغ خمسة آلاف وخمسمائة غرشاً تركياً بالرغم من ربحه القضية . ولم تنته القضية كون احد المعارضين ، وهو القس لويس شوريز ، كتب الى البطريرك فعينه هذا وكيلاً عنه، وكتب الى المطران

دينطالي يمنعه من الذهاب الى روما قبل تصفية الامور . فكان جواب دينطالي بان ميخائيل هو المعين الرسمي على الوقف . ولقد استبان بان المطران دينطالي كان مخدوعاً ؛ لان ميخائيل هذا لم يكن اميناً لا تجاه الوقف ولا تجاه الحكومة . واما القس شوريز وكيل البطريرك فاصدر امرًا في ٥ ايار ١٨٦٧ معلناً فيه بان كشيشي هذا هو غير مستقل في امر تدبير الوقف، ولذا فسيعين شخصان او ثلاثة بمثابة نظار ؛ وسيقسم المال الى ثلاثة اقسام، قسم يخصص لكنيسة مار بثيون في دياربكر ؛ وقسم آخر للفقراء ؛ والقسم الثالث كحسنات قداديس. واثبت البطريرك هذه التدابير ، ووافق عليها المطران دينطالي ايضاً لانه كان في شوق كبير الى المجيء الى روما . فاستشار المجمع بالمطران ملوس الذي كان في روما عام ١٨٦٧ وكان قد عينه البطريرك نائباً عنه لبحث شؤون الكنيسة الكلدانية فاقترح هذا بتعيين زائر رسولي، وعرض المطران خياط لهذه المهمة . غير ان البابا ترك في ٢٧ آب ١٨٦٧ امر اختيار الزائر الى القاصد الرسولي كاستلس ؛ فاختار هذا القس جبرائيل فرسو الذي بعث بتقرير الى المجمع كانت زبدته في ان القضية سببها حب ذاتي وحب منفعة، وان علة الشغب هما الكاهنان لويس شوريز وانطونيوس دلال بنوع خاص . ويبان من الوثائق — يتابع نص الجلسة— بان بطرس مازجي قد اوصى حقاً بقسم من ثورته الى كنيسة مار بثيون ؛ الى فقرائها ؛ وبانه ترك القسم الآخر يستعمله بحرية وكيفما يراه مناسباً ابن اخيه الشماس اسطيفان . كما والمطران دينطالي لم يوافق على قرار القس شوريز الآ عن كره : وبان البطريرك قد اوصى بان لا ينقص شيء من رأس المال بل من الارباح لا غير . ويتساءل الكردينال الباسط القضية عن امر اتخاذ اجراء اذ يبقي على ارادة الموصي يحافظ في الوقت عينـــه على سلطة الاسقف المباشرة وسلطة البطريرك الغير المباشرة على تدبير الاموال الموقوفة للكنيسة . فيأتي جواب المجمع على هذه الصورة : « ليعط تعليماً خاصاً الى اسقف دياربكر الكلداني بصدد هذا الوقف التقوي لآل مازجي او كاليشوي (كذا) ، وبه يصرح بانه في رأي المجمع ان يبقى اولا تدبير الوقف بحسب الموصي ومن غير ان يتدخل في ذلك الاقليروس او العلمانيون . ولاسقف دياربكر ثانياً الحق والواجب ، كما لسائر اساقفة الابرشيات ، في السهر كي يتم تدبير الوقف المذكور بحسب القوانين المقدسة . ولا سيما بفحص سنوياً وفي كل مرة يرى ذلك ضرورياً مجرى الامور . بان يبقى رأس المال ثالثاً مخصصاً لما قد اوقف من اجله في الاصل . رابعاً، بان يصرف من الربح فقط في اتمام الوصية الاصيلة (Acta Prop. NR Or. 4 (1868-5) f. 316-30v).

الشماس رافائيل عينه ؟ فهل هو الشماس رافائيل الذي عهد بتدبير امر الوقف الى الاخوين كشيش اوغلي ؛ بينما كان رافائيل مازجي قد استلم هو فعلاً امر تدبير الوقف بعد وفاة الخواجا بدوش او الخواجا اسطيفان ؟ انها اسئلة نتقدم بها من غير ان نأمل في اعطاء اجوبة شافية عنها ما لم تكتشف وثائق اخرى جديدة ، ولا سيما في خزانة البطريركية الكلدانية ، مع ميلنا الى اعتبار ما يسرده نصري بأصحّ مما جاء في مقالة صائغ .

ونأتي الى وثائقنا مرة اخرى فنلقى القاصد كاستلس يعود الى قضية اغراض دير مار كوركيس في رسالته الى المجمع في ٧ آذار ١٨٦٧ فيقول : « لقد اتخذت كل التدابير اللازمة لتنفيذ توصياتكم المحترمة بشأن ادعاءات النائب البطريركي للكلدان المونسنيور خياط بصدد اغراض دير مار كوركيس . انا اعرف بأنهم يريدون المال وبان الكلية لن تحصل من ذلك على اية فائدة . لم اذكر بان نيافتكم هي التي امرتني باعطاء الدراهم ؛ بل وعدت البطريرك بأنني سوف اتمكن من الحضور لدى افتتاح الكلية ، وسأعطيه آنذاك المبلغ المزعوم . وانا قد قمت بذلك لاجعله يستعجل في تحقيق البناية وحتى لا يعمل ايضاً شيئاً من دون معرفتي » (Or., SR Caldei 2 (1867-74) f. 1243) . فالمعهد لم يكن قد افتتح في هذا التاريخ ، والبناية لم تكن قد اكملت بعد .

واما ناظر الرسالة الدومنيكية الاب ليون فيعرض في تقرير له الى المجمع فكرة المعهد بحسب وجهة نظر المرسلين فيكتب في ٢٦ آذار ١٨٦٧ : « غير ان الشر المسيطر والذي يفوق كل الشرور هو بغير مواربة جهل وعدم اهلية وكفاية الاقليروس المحلي . ومن ثمة فالضرورة الاكثر الحاحاً هي في تأسيس معهد ولن يكون هذا الا للكلدان لان السريان هم قليلون جداً حتى انه ليس من فكرة في اقامة عمارة خاصة بهم ؛ كما وليس في الامكان تشكيل تعليم عام للطائفتين ... فمعهد كلداني هو الامر الوحيد الممكن في هذا البلد . ولكي يقدم الفوائد المرتجاة فاعتقد بانه من الضروري ان لا يكون في الموصل ؛ اذ علاوة على النفقات الباهظة التي ستنتج عن ذلك ؛ فسوف يكون ثمة خطر في رؤية اغلبية الشبان يتذوقون فيه حياة اكثر مرونة واشد رخاء من الحياة في الارياف ... كما وينبغي وضع مدرسة عادية بقرب المعهد لتنشئة معلمين صالحين للمدارس يستطاع وضعهم بعد ذلك في القرى العديدة التي تعتازهم ؛ ويستطيعون بعد حين ، وبعد ان يتزوجوا ، ان يأتوا الى المعهد لاتمام دروسهم فيرقّون الى

الكهنوت . ولكن لن يتم شيئاً من هذا القبيل طالما للسيد البطريرك ولمساعده السيد عبد يشوع خاصة رأيهما ... والمرسلون الاوربيون هم وحدهم قديرون على القيام بادارة مشروع كهذا . وكذا هو ايضاً رأي السيد بهنام بني» (Prop., SR Mesop. 22 (1864-74) f. 116v).

غير ان المطران خياط النائب البطريركي يكتب الى المجمع في ٧ نيسان ١٨٦٧ فيقول : «واما المعهد فليس بحاجة الا الى فعل ارادة حاسم ونافذ المفعول باتفاق نيافتكم المحترمة والسيد البطريرك فيتم انشاؤه فوراً وبانتظام . وسوف اتطوع انا به على قدر ما تسمح لي به انشغالاتي الاخرى والظروف» (Or., SR Caldei 2 (1867-74) f. 1256).

والبطريرك ايضاً في رسالته الى المجمع ، ٤ تشرين الاول ١٨٦٧ يصرح : «واما عن المعهد الذي لن يتأخر موعد افتتاحه ، فسوف يستطاع استخدام الكهنة الذين سيتخرجون قريباً عن الكلية الاوربانية ، والذين ليس في الامكان اشغالهم في بدء وظيفتهم بمهمة افضل» (Ibid. f. 1359) . وكان المطران خياط قد كتب الى المجمع في ١٨ تموز ١٨٦٤ فقال : «اسمع بانهم (الدومنيكان) يتحيّنون الفرصة لمنع افتتاح المعهد والمطبعة بعد ان دبّرتها العناية لهذه الطائفة حالياً بواسطة السيد المحترم رافائيل مازجي وبالرضى العام» (Or., SR Caldei I (1862-6) f. 548).

ونقرأ تقريراً مطولا عن مشروع المعهد للقاصد كاستلس في رسالة له الى المجمع في ٢٦ شباط ١٨٦٨ ، اذ يكتب تحت عنوان : «انشاء كلية للاقليروس الكلداني» ، ما يلي : «بعد اعتبار العراقيل الكبيرة والكثيرة التي لا ينبغي اغفالها بصدد انشاء المدارس المختلفة في الابرشيات الكلدانية ... تجعلني الامور الاولية والمتعددة التي يذكرها الاسقف ملوّس بشأن الكلية ، ان اذكر العراقيل عينها التي تصادف المدارس الابتدائية ، لانني اظن بان هذا الشخص قد جعل روما تعتقد بما هو ليس بموجود لا في رأسه ولا في رأس الاحبار الكلدان الآخرين... انا اعرف واقرّ بصراحة بان الطائفة الكلدانية لن تقوم ابداً بخطوة الى الامام اذا هي لم تثقّف قبل كل واحد اقليروسها الذي هو عادة على جهل الى حد انه لا يعرف حتى الامور الضرورية لكي يقوم بخدمته كما ينبغي . اعرف واقرّ مع السيد اليا بانه من الضروري تهذيب الاقليروس الكلداني وانشاء كلية لها عين قوانين كلية البروباغندا في روما، ولكن من سيكون قديراً على ادارتها ،

ومن سيكون المعلمون لاعطاء التعليم الضروري للشبان؟ اذا ما يترك المجمع امر الكلية الى الكلدان انفسهم ففي رأيي انها لن تفتتح قط ، او اذا ما افتتحت فلن تدوم طويلاً . واما في حالة استدعاء البطريرك لشوريز او عطار كمعلم فيها ، فلست اعرف في ما اذا كان من الافضل حينذاك ترك الاقليروس جاهلاً او جعله يدرس على معلمين كهؤلاء يشربونه قبل كل شيء روح بغضة ضد البروباغندا والمرسلين . ولقد رأيتم نيافتكم بان الاسقف اليا لا يختلف رأيه في هذا ، فهو قد اراد بشأن الاسقف خياط ان تبقى الكلية حين يتمّ انشاؤها تحت تدبير وقيادة السيد عبد يشوع خياط . وانا لست موافقاً لنيافتكم بصدد هذا الشخص وحسب ، حينما تصرحون بان « المونسنيور خياط لن يقدر ان يعنى كما يجب بادارة المعهد بصورة مباشرة » ، بل وانا اعتقد ايضاً بانه سيكون مضراً بالمعهد وضع رئيس له كهذا ، لان المونسنيور بالرغم من تمتّعه بالمعارف الضرورية لوظيفة مثل هذه ، فانا اظن مع ذلك بانه غير قدير على رئاسة وتدبير المعهد بصورة مباشرة ، بل بوسعه ان يعنى فقط بمـا لا يمس الادارة الداخلية ... وانا اعرف ، كما يذكر الاسقف اليا ايضاً ، بانه من الافضل انشاء الكلية في موضع رئيسي في الجبل وليس في الموصل ... والمجمع المقدس يعرف جيداً بان المعهد الكلداني العتيد قد كان له رأس مال من التركة (تركة رافائيل اللعازري سابقاً) كان في الامكان تدبيره بواسطتها . واعرف ايضاً بان هذا رأس المال قد هدر بواسطة تحرشات قام بها ورثاء اللعازري سابقاً لدى المحكمة التركية. ولكنني سمعت بان البطريرك قد حصل على فرمان من القسطنطينية يتمكن به استحصال الارث المهدور... يبقى امر معرفـة من سيكون الرؤساء ومعلمو المعهد . ليس من شك في كون الآباء الدومنيكان صالحين لذالك ؛ بيد انـه علاوة على قلة افراد هذه الرسالة للغرض ، فانا اعتقد بانه لا ينبغي عهدته اليهم من دواعي الفطنة ، فانه حتى في حالة رضى الاحبار والبطريرك الكلداني فليس ببعيد عن الاحتمال بان مصادفة ما او كلمة واحدة ينطق بها احد الطرفين بنوع غير فطن، بوسعها ان تحيل المعهد الى هباء» (Or., SR Caldei 2 (1867-74) f. 1476v-9).

ولكننا في رسالة للمطران خياط سطّرها بالعربية في ١٢ تموز ١٨٦٨ الى المطران اليا ملوس ايام كان هذا في روما نقرأ ما يلي : « ومن جهة المدرسة قد حرر الى بعض الابرشيات غبطته لاجل ارسال الصبيان ونيته المباشرة اول مجيهم عن قريب والدراهم للمصرف حاضرة ؛ واما التدبير والتدريس والمعلم

فكأنه يقتضي ان اكون الفقير وانا ما امسك نفسي لكن ما اعرف ايش اعمل اريد اعمل واين الحرية والقدر الواجب ونوع الادارة وحتى امر المدرسة الكبيرة امر يحيرني لاني من جهة اريد ان اكون المتقيّد فيها لتدبيرها وادارتها في كل شيء والاّ فما تمشي مع هولاء الصقعاء الخائنين، لكن من جهة اخرى ليس حرّية وبلا حرّية لا يمكن العمل ويكثر التعب وليس لي لياقة لذلك. وايضاً ان قلبي منقلع عن هذه البلدة ... وانما اريد واطلب من ربي ان تكمل مشيته فقط ... ارادوا بيت يوسف ان يقترضوا من وقفية رافائيل لكن ما رضوا المتولون وانقهر ذو الغبطة. ثم تحاسبنا مع الوكلاء وأكدوا لنا من الربح يقدرون من الرأسمال الذي عندهم يعطون كل سنة عشرة آلاف للمدرسة. ولا اكثر» (Ibid. f. 1577-6v). والبطريرك اودو يكتب هو ايضاً الى المجمع في ٣١ تموز ١٨٦٨: «ومن جهة المدرسة الاكليروسية قد حررنا الى المطارين ليرسلوا الشبان اليها واستعدينا لنفتحها بلا تأخير» (Ibid. f. 1600). حتى نفهم من رسالة المطران عبد يشوع خياط الموجهة الى المجمع في ١٧ ايار ١٨٦٩ بان: «المعهد البطريركي قد افتتح الآن، وهو يعدّ اليوم ستة تلاميذ، ونحن بانتظار غيرهم. وقد تسلمت انا ادارته متبنياً قانون الكلية الاوربانية ومستخدماً كهنة صالحين ومن الشباب على قدر الامكان. بيد ان الامكانيات التي بيدنا هي ليست بكافية لتأكيد استمراره الذي لا بد منه لنوال الغاية المبتغاة» (Ibid. f. 1741v). والبطريرك يوسف اودو في رسالته بالعربية الى ناظر المجمع الكردينال برنابو في ٢٤ ايار ١٨٦٩ يذكر الخبر نفسه بقوله: «وقد فتحنا المدرسة الاكليروسية وصار فيها الآن ستة تلاميذ ومستعدون آخرون ثلاثيان من الابرشيات. وهذه المدرسة تحت ادارة السيد خياط وغيرة كنايسين عمرة بنظام وآداب تامة. ودراهم اغراض مار كوركيس التي وعدنا بها وكانت مقدار عشرة آلاف غرش والاغراض التي تصرّفوا بها الدومنيكانيين فهذه الدراهم ما وصلتنا لا هي ولا غيرها لا من عند القاصد الرسولي كما وعد ولا من غير مكان. فقد خاب الامل من الذين كان لنا بهم امل وبان انهم معارضين ليس معاونين» (Or., SR Caldei 1 (1862-66) f. 634). ونستدل من وثائق اخرى بان القس يعقوب

معجم تحليل اسماء الاعلام الشخصية وتاريخها

للعلامة المغفور له عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجامع العلمية في القاهرة ودمشق وبيروت والبرازيل

نشره الاستاذ رياض المعلوف

حرف الدال

داجون — إله السمك .

داريوس — فارسي — بمعنى مانع .

داماد — فارسي — بمعنى الصهر أو زوج البنت .

دان — عبراني — بمعنى القاضي أو الديّان .

دانيال — عبراني — معناه (الله حاكمي) أو (قاضي الله) ،بني معروف له سفر في التوراة نقل الى بابل سنة ٦٠٦ وبقي حياً الى سنة ٥٣٤ ق.م. وله أخبار مطولة (راجع دانيال بدائرة البستاني) وتقول العامة دانيًا داود — بمعنى المحبوب او العزيز ، واشتهر داود النبي والمرتل والملك والد سليمان الحكيم ملك اسرائيل .

دبّورة — عبراني — نحلة أو كلمة .

دختنوس — فاسي — اسم امرأة بمعنى (بنت الميمون أو المبارك) .

درويش — فارسي — سائح . فقير . راهب . زاهد . متعبّد .

دكدكجي — ابرهيم الدكدكجي (١١٠٤ — ١١٣٢ هـ) نسبة تركية الى الدكديك وهو ما يوضع ساترًا على ظهر الحصان المعروف عندنا بالمرشحة وقيل انه دودكجي بعين القصّاب أي الزمّار وربما سمي به لأنه كان زمّارًا أو صانع القصابة .

دليلة — بمعنى المعشوقة ويقال فيها (دلّه) .

دمستق — لاتينية (دومستكوس) لقب قائد جيش الروم .

دميان — يونانية — معناه (الغالب) ودميانة شهيدة قتلت مع اربعين عذراء ودميانوس .

دورة — يونانية — ذُوُرُون بمعنى الهدية . وعامتنا تسمي المرأة باسم (دورا) .

دوميط — ويقال (ضومط) هو دوميطيوس الشهيد الانطاكي كان وثنياً باسم (ابـّار) من بلاد فارس (العجم) فتنصّر . قتل سنة ٣٦٣ م .

دومينكوس — لاتينية ، دومينيك بمعنى سيدي .

ديك الجن — سمي بذلك لأن عينيه كانتا خضراوين واشتهر بهذا الاسم الشاعر الحمصي (ديك الجن) وله منظومات مشهورة .

ديمتري — يونانية — ذيمتريوس بمعنى (العادل) وديمتر Demeter إلهة الزراعة والخضارة عند اليونان . شهيد قتل سنة ٣٠٣م وعيده في ٨ ت١ ويقال متري .

ديموستينوس — يونانية — قوّة قلب الجمهور .

دينة — اسم بنت يعقوب من زوجته ليئة عبراني بمعنى حوكم ومنتقم له (تك ٣٠ : ٢١) عبراني .

ديوتربنوس — يونانية — ربيب جوبتير أو ابن جوبتير أو زَفْس .

ديونيسيوس — الاسكندري وديونيسيوس Dionysos إله الكروم والخمور عند اليونان مثل باخوس والرومان استعملوا دونيسيوس استشهد سنة ٢٦٤م (يوناني) بمعنى عطية المشتري (باخوس) الذي اشخصه إله الخمر .

دوميتيوس — يونانية — عربوه دوميط أو ضومط .

ديانا — يونانية — ابنة عطارد .

حرف الذال

ذيوذورس — يونانية — عطية المشتري (جوبتير) . ويقال ثيوذورس وثاوذورس — والمؤنث (تاودورا) .

حرف الراء

روبين ، رأوُبين — عبراني — ابن الرؤيا أو هوذا ابن او رأى البنين — أو — انظروا ابناً — أو — الرب نظر مذلتي من — رأ — أي رأى و — بن — ابن أي رأى البنين وبالسريانية (روبيل) أي العظيم لله .

راحاب — متكبرة .

راحيل — عبرانية — بمعنى (غلّة) وهو اسم قديم لابنة لابان الصغرى وزوجة يعقوب ابي الآباء وأمّ يوسف وبنيامين (تك : ٢٩ و ٣٣ و ٣٥) وسميت بهذا الاسم نساء كثيرات بعدها وقيل بمعنى شاة أو نعجة أو رخلة .

زكّا — عبرانية — عفيف . عادل . زكي .
زِلْفَة — عبرانية — تنقيط.
زنّوبيه — يونانية — حياة . يقولون (زنّوبه) وزينب وزنّوب.
زيد — سريانية — الحادّ الطبع .
زينون — يونانية — بمعنى الحي .

حرف السين

سابا — يونانية — بمعنى الناسك سموا به السبت (سافاتو) وهو قديس مشهور عند الشرقيين توفي سنة ٥٣٢ م وتذكاره في ٥ ك١ وتأتي سريانية بمعنى الشيخ . راجع اوسابيوس .
سارة — عبرانية — بمعنى ملكة أو رئيسة اشتهرت به زوجة ابرهيم الخليل وبمعنى أميرة . وقر .
ساروفيم — عبرانية — أو مصرية — من أسماء الملائكة ومثلها الشاروبيم والعامة تقول (صرّوف) اسم أسرة اشتهرت بعلمائها في دمشق ولبنان .
سارابامون — مصرية — اسم مصري من ثلاثة آلهة (سار) تحريف اوسار أي أوزيريس آلهة الزراعة و (أب) من حابي معبود النيل و (أمون) الاله الأكبر وسارابامون هو اللفظ اليوناني الباقي بعد دخول المسيحية الى مصر .
ساراي — مولاتي . أميرتي .
ساسين — لاتينية وأصل أسمه سيسين من Sisinnius اللاتينية وهو قديس تذكاره في لبنان في ٢٣ ت٢ .
سام — عبرانية — أحد أولاد نوح الثلاثة سام وحام ويافث . ومنهم تسلسل العالم بعد الطوفان .
سبينا — لاتينية — بمعنى وديعة اسم انثى .
ساويرُوس — يونانية — اسم الامبراطور Severus بمعنى القاسي وسمّي به الشرقيون مثل ساويروس ابن المقنع المؤرخ المشهور .
سْتَالِين — الزعيم الروسي الكبير المارشال في حرب ١٩٤٢ معنى اسمه (فولاذ)
سَحنون — ابو سعيد عبد السلام بن سعيد التنوخي الفقيـــه المالكي قضى بالقيروان وله مؤلفات، توفي سنة ٢٤٠هـ ولقب سحنون باسم طائر حديد الذهن .
سرجون — سريانية — بمعنى النور والسراج و (اون) علامة التصغير بالسريانية وعبرانية بمعنى ثابت هو الملك . وسرجيوس باليونانية (وسركيس) تحريفها.

السرّازين — Sarrasins محرفة عن لفظ الشرقيين وهي قبيلة عربية منها اذينة ملك تدمر بحكم الرومان .

سرسان — يونانية — سراكينوس أي الشرقيين اطلقوها على الشراكسة .

سركيس — أو سرجيوس — فسركيس سريانية بمعنى الشبكة وسرجيوس يونانية — اشتهر القديسان سرجيوس وباخوس استشهدا نحو سنة ٣٠٧ م وتذكارهما في ٧ ت١ وهما متلازمان وباسمها كنائس كثيرة .

سروج — عبرانية — بمعنى غصن .

سقراط — يونانية — سوكراتوس بمعنى (مخلّص المملكة) .

سلجوق — آل سلجوق دولة تركية كانت أشهر دولة في عهد العباسيين انتسبوا الى مقدمهم سلجوق الذي آخرهم في القرن العاشر للميلاد في بخارى حيث أسلموا ولقب حفيده طغرلبك سلطاناً واستولى على خراسان وغيرها من الولايات الايرانية ثم على بغداد ١٠٥٦ م فلقّب أمير الأمراء ومات ١٠٧٢ م وخلفه من بعده .

سلوانس — يونانية — Silwanus — وهو إله الأحراج والحقول والبساتين وحامي حدود الحقول عند الرومان ويقال سيلانس وسيلا ومعناه (اجمي) سُلَيْك بن السُلَكَه — أي الفرخ ابن الحَجَلَة .

سليمان — عبرانية — معناه سلامة وهو اسم سليمان ابن داود الملقب بالحكيم ملك اسرائيل باني هيكل اورشليم المشهور باسمه وتأتي بمعنى سليم — وقابل السلام — وتقول العامة (سلمان) وسَلُّوم وسليم — وسلام —

سَلَمُونْ — عبرانية — لباس — لابس — سلام .

سمعان — عبرانية — بمعنى مستمع أو سميع — مطيع — الشهير — وسريانية — بمعنى السمعواني اشتهر به سمعان بطرس الرسول وسمعان العمودي القديس الذي قضى حياته على عمود ومات سنة ٤٥٩ م وذكره في أول أيلول ويقال (شمعون) .

سنحاريب — (اشوري) بمعنى قد أرسل أخوة كثيرة أي ليس هو ابن أبيه الأكبر — وهو اسم الملك المشهور — وقيل (القمر يكثر الاخوة) .

سوسان — عبرانية — بمعنى اميرة — وتأتي بمعنى زنبقة وهي المعروفة بين الرياحين .

سيرافيم — عبرانية — بمعنى لهيب أو رفيع ، ويقال ساروفيم وشاروبيم وصرّوف .

سِيْسِيْلَة — لاتينية — بمعنى قصيرة النظر أو حسيرة ويقال فيها سَسُّول .

سيلا — سريانية — بمعنى مطلوب .

سهدون — أرامية — بمعنى الشهيد الصغير .

حرف الشين

شارل — بمعنى الرجل .
شارلوت — بمعنى الشريفة . وكارولينا مثلها .
شاروبيم — راجع ساروفيم — عبرانية — بمعنى الحارسين الحافظين وعند العامة شاروبين .
شالح — عبرانية — بمعنى الدفع أي البعث بالشيء الى الامام
الشاه — لقب لملوك الفرس بمعنى الملك .
الشاهنشاه — لقب فارسي معناه (ملك الملوك) .
شاول — عبرانية أو سريانية بمعنى الطالب أو المطلوب أو المسؤول .
شدياق — يونانية — أصلها ارشوياكون ومعناها شماس وأصلها رئيس الشمامسة الانجيليين . استعملها السريان (الشدياق) .
شربل — أسقف الرها الشهيد سنة ١٢١ م مع شقيقته (بابا ي) وتذكارهما في ١٤ ت١ .
شغيره — سريانية — بمعنى جميلة .
شلبي — تركي — چلبي بمعنى سيدي . وعندنا بمعنى ظريف للشريف الحسب والنسب .
شلمناصر — أي شلمان ذو نعمة .
شلّيطا — سريانية بمعنى (الحاكم والمسلّط) يقال انه هو (ارتيموس) Arthéme من أقارب قسطنطين الملك الكبير ولاه على مصر فلقب بذلك واستشهد سنة ٣٦٣م في الاسكندرية وذكره في ٢٠ ت١ وأنكر بعضهم انه ارتيموس.
شمعلة — شاعر تغلبي لعله من اسمعيل وقيل انه من الناقة الشمعلة أي النشيطة السريعة .
شمشون — عبراني — بمعنى (الشمس الصغيرة) أو (شبه الشمس) وقيل بمعنى (الخوف والانذهال) لأن أبويه انذهلا من ملاك الرب حين ولادة ابنهما (قض ١٣ : ٣ و ١٨ — ٢٠) .
شمعون — عبرانية — بمعنى سمع لأن الرب سمع لمذلـة ليئة فهو ابن يعقوب الثاني من زوجته ليئة .
شمونة — والدة الفتية المكابيين السبعة الذين قتلت معهم ومع العازر الشيخ وعيدها في ١ آب .
شمّا — عبرانية — دمار — اسم امرأة وتقول (شمّا) وشمونة .
شمشقيق — أرمنية — بمعنى (قصير القامة) وهو لقب يوحنا الأول ملك الروم.

شنودة — قبطية — بمعنى (ابن الله) اسم كاهن في القرن الخامس للميلاد وله دير باسمه في الوجه القبلي يسمّى (بالدير الأبيض) وهو الذي دافع في مجمع نيقية المسكوني ضد آريوس. وحرّف في اليونانية الى سانوتيوس Sanethius.

شيبان — بمعنى عصا.

شيت — ثالث أبناء آدم من معانيها في العبرانيــة (الوغى) (عد ٢٤ : ١٧) وفسّرتها الترجوم الأورشليمية بمعنى (المشرق) وفسّرها يوناثان بن عزئيل بمعنى (جيش جوج) الذي سيصطف في قتال اسرائيل. وقيل بمعنى تعويض. وضع. اساس.

شيركوه — فارسي — بمعنى أسد الجبل من (شير) أسد و (كوه) جبل.

شيرين — كلمة فارسية معناها (حلو) سميت بها حظيّة كسرى ابرويز وكانت جميلة فائقة.

شيطان — عبرانية — بمعنى خصم.

شينا — سريانية — بمعنى السلام والسعد وهو لقب القديس (ابراميوس) من انطاكية وله قصة تدل على لقبه، وظنّ بعضهم ان شينا تحريف شيلا أو سيلا من منشيء الأديار في حرّان.

حرف الصاد

صدقيّا — عبرانية — عدل الله. زكاة الله.

صفرونيوس — يونانية — بمعنى العفيف أو ذي العقل السليم.

صفّورة — عبرانية — عصيفيرة تصغير عصفورة.

صفنيا — عبرانية — يستره الله.

صابات — عبرانية — الله قسم. اليصابات. واليزا. وليزا اليصابـــات واليزا وليزا ولويزا.

صادوق — مبرّر أو صادق.

صقالبة — Slaves — الاسم مشتق من كلمة (سلاڤا) باللغة الصقلية بمعنى (المجد) أو (سلوفو) بمعنى الكلام وفسّروها انها الدلالة على امم مختلفة تتكلم لغة واحدة ويظهر ان العرب عربوا كلمة الصقالبة من كلمـــة (سكلاف) تحريف سلاف.

صموئيل — عبرانية — سمع الله أو اسم الله. أو الذي يستمع لـــه الله. أو

المسموع من الله . أو مطلوب . والعرب تقول السموأل .
صوفيّا — يونانية — بمعنى (الحكمة) .

حرف الضاد

ضياء — اسم نسبةً الى الضوء .

حرف الطاء

طابيتة — عبرانية — أو سريانية — بمعنى الغزالة .
طاليس — يونانية — بمعنى شجر لا ينثر ورقه (أعروان) بالفصحى ومنها ارسطوطاليس بمعنى الممتاز وهو اسم الفيلسوف اليوناني الشهير ويقال ارسطو .
طُوبيّا — عبرانية — بمعنى (جودة الله) .
طولون — بمعنى (البور الكامل) .

حرف العين

عائدة — حسنة .
عابر — عبرانية — العابر أو المجتاز .
عازر — عبرانية — بمعنى عزاء ، اليعازر — عزُور ، عازار .
عالي — عبرانية — ارتفاع و (عَلْيا اسم المرأة) .
عاموس — عبرانية — حِمْل .
عبد تَغْو — عبد الضوء .
العِباد — قبائل شتّى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة والنسبة اليهم عباديّ ومنهم اسحق بن حنين العبادي وغيره .
عبدون — سريانية — العبد الصغير .
عبدا — اسم شهيد قتل نحو سنة ٣٧٤ م أو ٣٧٥ م وشهيد ثان قتل نحو سنة ٤٢٠ م ومار عبدا المشمّر عند اللبنانيين نسب الى محل المشمّر في وادي قديشا (المقدس) فوق طرابلس لبنان .
عُبَيْد عِبَيْد — تصغير عبد .

عثايا — عبرانية — مَن خلقه الله ، ولعل منها اسم (عطايا) عندنا فلفظوها بالثاء ثم بالطاء .

عثليا — عبرانية — من يبليه الله .

عثنيئيل — هذا ملك .

عِجلون — عبرانية — شبيه بعجلة .

العَجْلان — لقب عبد الله بن كعب لتعجيله القرى لضيوفه ونسب إليه بنو العجلان .

عدلا — أو عدلة من العدل العربية .

عديلة — عربي — من العدل يقابلها بالافرنجية Adéle والعامة تقول (ادال) في تسمية المرأة .

عَزْرا — عبرانية — بمعنى معين وعون ، أي معونة الله .

عزريّا — عبرانية — بمعنى عز الله .

عَزّور — عبرانية — معين .

عُزّيّا — عبرانية — عز الله — قدرة الله .

عَفْرون — (ربماحية) شبيه بأيّل .

علوان — عبرانية — عال .

عمران — عبرانية — شعبٌ تعالى .

عمري — عبرانية — عبد الله .

عمّانوئيل — عبرانية — معناهُ الله معنا .

عَمّون — عبرانية — ابن شعبي .

عماليق — عبرانية — الساكن في الوادي . الشعب المؤذي .

عَميّناداب — عبرانية — شعب الأمير .

عناق — عبرانية — قلادة .

عوبديا — عبرانية — عبد الله .

عوبيد — عبد .

عُوْج — عبرانية — طويل العنق أو أعوج العنق — يقال عوج ابن عناق .

عوزيل — قوة الله .

عوص — عبرانية — مشمر . مشورة .

عيسو — عبرانية — مُشْعر (كثير الشعر) أو خشين ويقال من شعاع أو يشّع ومنه عيسَى والعامة تقول عيسِي .

حرف الغين

غاتا — يونانية — طيبة القلب .
غراندوق — (فرنسية) أمير عظيم . أمير خطير (لقب) .
غريغوريوس — يونانية — يقظان مات نحو سنة ٢٧٠ م ويقال غريغوري. وغرغور .
غطّاس — ترجمة كلمة Baptiste اليونانية بمعنى المعمدان من غطس في الماء اذا سبح . ومنه عيد الغطاس ويسمى عيد الدنح بالسريانية .
غفرئيل — راجع (جبرائيل) ويقال (غِبرِيْلْ) .
غمالائيل — عبرانية — جزاء الله .
غودفروا — (جرمانية) سلم الله .
غودنسيو — لاتينية — فرح .

حرف الفاء

فالج — عبرانية — أو فالغ بمعنى القاسم أو المقسم وفلج باللغات السامية بهذا المعنى .
فَالنْتِينُوس — لاتينية — بمعنى (شديد) وهي ترجمة هذا الاسم لأن كهنة الموارنة الذين كانوا في ايطالية وفرنسة ترجمت اسماؤهم بلغة تلك البلاد ويقال فالنتين بمعنى المقتدر .
فردوس — فارسي — بمعنى (الجنة) وهو اسم انثى . واحياناً ذكر .
فرتوناتوس — عبرانية — بمعنى المحظوظ (أي ذا الحظ) .
فرجيني — لاتينية — العذراء .
فِرزِي — عبرانية — ابن القرية . القروي .
فِريسي — عبرانية — منعزل . وسريانية ممتاز .
فرديناند — جرمانية — السلم الصافي.
فرعون — قال يوسيفوس المؤرخ انها مصرية بحتة . ويقال انهـا من القبطي (ا ف ا د ر د) أي ملك أخذها الأسرائيليون لما كانوا بمصر وزادوا عليها النون ومعناها المصري القديم الشمس أو الملك وهي اسم علَم جنسي لملوك مصر . من (فعور) الملك و (فر) فرع و (أون) الشمس . أو من (پير) و (عوى) اسم قصرية وهما رمز للكيته . وهو اسم هيروغليفي من

(هير) و (فير) أو (پير) البيت الكبير . و (آ) عظيم . بمعنى مؤسس السلطان . والكلمة اذا كانت قبطية تفيد معاني الشمس والملك والمتقم أو التمساح . وتقول عامتنا (مْفَرْعَن) و (تْفَرعَن) بمعنى كان قوياً .
فرنسيس — لاتينية — حرّ — أو — جرمانية — مرّ ويقال فرنسوا .
فرنسيسكه — لاتينية — حرة مطلقة .
فستوس — فرحان .
فريدريك — جرمانية — أو فريدريخ بمعنى السلم المغني .
فقح — عبرانية — مفتوح العين .
فكتور — لاتينية — ناصر أو منصور .
فكتورية — لاتينية — مظفرة أو منصورة .
فلورنس — لاتينية — بمعنى الهة أو زاهرة أو زهرة (فلور) لاتينية (فلوس) بمعنى الزهرة .
فنحاس — عبرانية — فم النحاس .
فنوئيل — وجه الله أو رؤيته .
فوقا — قديس كان في ايام الرسل استشهد في أوائل القرن الثاني للميلاد وعيده في ٢٢ تموز .
فليشي — لاتينية — بمعنى مسعود ترجمة الاسم باللاتينية .
فوستوس — أو فوسطوس — لاتينية — بمعنى (مُرهج) ترجمة الاسم اللاتيني .
فوميّة — راجع (اوفيمية) — يونانية — القديسة اوفيمية (افيمية) حرفت ومعناها الطيب الذكر .
فوطيفار — مصرية — ثور سمين أو مختص بالشمس (لعبادتهم العجل) .
فايولا — بنفسج .
فيلبّس — يونانية — معناه (محب الخيل) وهو والد اسكندر المقدوني مركبة من (فيلس) أي محب و (هبس) الخيل وهو بالافرنجية Philéppos وباليونانية Φιλιππος ويقولون فيليب وليبّوس . ومن معانيها الحربي .
فيلكس — لاتينية — السعيد — سمّيت بيروت (جوليافيلكس) أي جولية السعيدة .
فيلادلفيا — محبة الاخوة .
فيلوثاوُس — يونانية — من فيلو Philo بمعنى حبيب وثيوس Theos بمعنى الله فمجمل معناه (حبيب الله) أو محب الله ويقال تاوفيليس وفلتس وفلتاوس بمصر .
فيليمون — يونانية — حبيب ، ويسمون عندنا الانثى (فلومينا) .

رواية العمرين

تمثيلية ذات ثلاثة فصول

بقلم الخوري حنا طنوس † — غوما

عمرو بن هند	
عمرو بن كلثوم	شاعر تغلب
زهير	ابنه
الحرث بن حــلزة	شاعر بكر
ظليم	ابنه
عبد المدان	ربيب زهير
خالد	
نكير (المتلمس)	
ابن سنمار	
السجان	
المغني	
مرّه	
اعمى	
جنود	

بين أعلام اللبنانيين الذين طوام الربع الثاني من هذا القرن ، كاهن تفوق في العديد من ميادين المعرفة واسهم في انشاء جيل وقيام نهضة . ان الكثيرين منا لا يزالون يذكرون الخوري حنا طنوس وما امتاز به من فكر خلاّق وخيال خصيب وشاعرية مبدعة .

لقد جمع في شخصه بين فنون الأقدمين وعلوم عصره . لكنه اشتهر على الأخص بالفن المسرحي حيث حلق في أعلى الأجواء تاركاً روائع تفتحت عنها عبقريته ونبوغه . وحسبه أنه أول من ألف بلغة الضاد الرواية المسرحية في وقت اقتصر فيه التمثيل على التراجم الاجنبية . وقد أضفى عليها مسحة رفعت المسرح العربي الى المرتبة الخليقة به .

واليوم، مع إطلال عام ١٩٦٦ ، تنقضي مئة سنة على ميلاد من اوجد صحوة لبنانية حقة في التأليف المسرحي . لذلك يفكر فريق من الأدباء في احياء ذكراه باقامة اسبوع تكريماً له وتقديراً . كما ان الجامعة اللبنانية أعربت عن عزمها على إحصاء رواياته ونشرها .

أما هذه الروايات فان عددها يربو على الثلاثين ؛ منها ما هو تأليف ومنها ما هو تعريب . إلاّ ان القسم الأوفر منها ما برح مخطوطاً . ويتناول معظمها مواضيع شرقية بعضها مستمد من صميم تاريخ لبنان والعرب ، مثل البطل المجهول والبطريرك حجولا وأمير الأرز ، والنعمان الخامس ، والعمرين ، وشهداء نجران ... و«داحس والغبراء» وسيدة قنوبين ، ويوسف بك كرم ؛ و« العقل اللبناني والدهاء العثماني » .

ورواية «العمرين» التي ننشرها فيما يلي انما هي برهان ساطع على مقدرة المؤلف الفنية على خلق اللغة والحوار والمناخ والتلون التي تتلاءم وموضوعه . فكأنك ، وأنت تطالع « العمرين » ، تعيش في جو عربي أصيل يدور فيه الخلاف بين ملك الحيرة وشاعر تغلب . وما ذلك سوى إحدى المميزات التي اتسم بها الطابع المسرحي لمن كان بحق مربي جيل وباعث فن ورائد نهضة .

(الشرق)

الفصل الاول

المشهد الاول

(احدى قاعات الخورنق)

(عبد المدان في طرف المرسح) (زهير في الطرف الآخر)

عبد المدان : (واقف ــ باسط يديه الى السماء) آمنت بالذي رفع السماء، وبسط الفضاء، وفصل بين الماء والماء . له يسبح لساني في الصباح وفي المساء ــ (ثم يخر ساجداً ويقول) سجد وجهي للذي خلقه وهو جاشم، وما جشمني من امر فاني جاشم .

(وينشد) ان تغفر اللهمّ تغفر جمّا واي عبد لك ما المّا

(يبقى راكعاً باسطاً يديه)

زهير : صلي خبل الوصال ومتعينا | بروئيـــة آلنـــا أو ودعينا
حياة الذل يحسبها حيـــاة | اسافلنـــا . واحسبها منونا
اعد العز في ستر سماء | وذلي في السما ستقرا وهونا
دعونا آل تغلب من بعيد | وعلينـــا الهتاف ليسمعونـــا
ايا عمرو العلاء اعز وليدا | فسعيك للعلى في ان تعينا
فما من سامع منهم نداء | ومـــا احد يجيب الهاتفينـــا
فان سكت الاراقم ليت شعري | فيـــا ارض · الجزيرة كلمينا
فيـــا رب الحمائم بلغيهم | دعـــانا ثم عودي جاوبينا
وقولي لابن كلثوم المفدى | فتاك فتاك يـــا ابن الامجدينا
فتاك وعزك الاسنى زهير | غدا في السجن مأسوراً رهينا
فهل ترضى بذل يا ابن ليلى | ونفس الشهم تأبى ان تهونا

عبد المدان : (ينهض عند آخر الشعر ويقوم اليه)

زهير الخير لا تجزع تجلد | فان الله يجزي الصابرينا
وان الشمس تطلع بعد ليل | مشعشعـــة تنير العالمينـــا
وان الصحو يعقب في سمانا | غيوماً لبدت في الجو حينا
كذاك اليسر يأتي بعد عسر | فينعش قلب قوم يائسينا
فـــان اباك طلاع الثنايا | وان اباك ملجا اللائذينـــا
وليس السجن عارا في البرايا | اذا لم تقترف ذنباً مشينا
اذا سكن الغضنفر بيت ضبّ | يصير البيت مسكنـــه عرينا
وما انت السجين ايا ابن عمرو | رهيناً كنت ما كنت السجينا

زهير : اي عبد المدان ، قل لي بحقك ، ما حمل ابي على ان يبعث بي رهناً الى الخورنق ؟

عبد المدان : لما طالت حرب البسوس التي اثارها جاس بن مرة بين بكر وتغلب ، بقتله كليباً ، اعز العرب ، وكان المهلهل ، جد ابيك ، قد اسرف في القتل ، وكادت القبيلتان تتفانيان . نهض عمرو بن هند ، وهو جبار ، عظيم الشأن والملك ، وجمع بكراً وتغلب ، ابني وائل ، واصلح بينهم ، واخذ من الحيين رهناً ، من كل حي مائة غلام ، من اشرافهم واعلامهم ، ليكف بعضهم عن بعض ، وشرط بعضهم على بعض ، وتوافقوا

على ان لا يبقي واحد منهم لصاحبه غائلة ، ولا يطالبه بشيء مما كان من الآخر من الدماء .

زهير : ذلك اعرفه . وقد كان اولئك رهنا يصحبون عمراً في مسيره ، ويغزون معه . فمتى التوى احد منهم بحق صاحبه ، افاد حق الرهن .

عبد المدان : فسرّح عمرو بن هند ركباً من بني تغلب وبني بكر الى جبل طي ، في امر من اموره . فنزلوا بالطرفة ، وهي لبني شيبان وتيم احلاف بني بكر . فاجلى البكريون التغلبيين عن الماء وحملوهم على المغارة فماتوا عطشاً .

زهير : اما بكر فتزعم انه قد اصابتهم سموم في بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون . هذا ما اعرفه . ولكني انما أسألك عن سبب ارتهاني في هذا القصر .

عبد المدان : فلما بلغ ذلك بني تغلب غضبوا وطلبوا ديات ابنائهم من بكر . فأبت بكر بن وائل اداءها .

زهير : فاجتمع بنو تغلب لحرب بكر بن وائل واستعدت لهم بكر . اني اعرف القصة الى هنا . ثم رأيت نفسي في قصر الخورنق صحبة ربيبي عبد المدان . وهذا ما احب الوقوف على سببه .

عبد المدان : فلما التفت جموع بني وائل ، كره كل صاحبه ، وخافوا ان تعود الحرب بينهم كما كانت . فدعا بعضهم بعضاً الى الصلح وتحاكموا الى الملك عمرو .

زهير : ولمن حكم الملك اليس لتغلب ؟

عبد المدان : فقال عمرو : ما كنت لاحكم بينكم حتى تأتوني بسبعين رجلاً من اشراف بكر بن وائل ، فاجعلهم في وثاق عندي : فان كان الحق لبني تغلب ، دفعتهم اليهم ؛ وان لم يكن لهم حق ، خليت سبيلهم .

زهير : وحق ربيعة ، او انا من اشراف بكر الست زهيرا بن عمرو بن كلثوم التغلبي ؟

عبد المدان : فقبلت بكر بما طلب اليهم ، ولكنهم طلبوا ان يؤخذ من تغلب ابن سيدهم ، ومن بكر ابن سيدهم ، ليكونا رهناً عند عمرو بن هند الى ان يتم الصلح .

زهير : ورضي ابن عمرو بهذا الذل ؟ !

عبد المدان : ان اباك اعز الناس نفساً، واكثرهم امتناعاً، وما هذا شين. انما العز في ان يضحي العزيز بولده في سبيل عشيرته.

زهير : اتقول صدقاً يا عبد المدان ام تعزّيني ؟

عبد المدان : ما قلت الا الصدق.

زهير : ومتى يكون الحكم بين العشيرتين ؟

عبد المدان : هذا اليوم.

زهير : كيف يكون الحكم اليوم ولم يحضر احد من الخصوم ؟

عبد المدان : لا يلبث ان يحضروا، فقد رأيت الساعي نكيراً المقنع داخلاً على عمرو بن هند.

زهير : من هذا الساعي نكير ؟

عبد المدان : رجل ينتسب لقوم، فقدم لخدمة عمرو من شهر، وهو مقنع لعاهة في وجهه على ما يقول.

زهير : لعله عدو ماكر يغتال الملك على حين غفلة.

عبد المدان : لا يدخل على الملك الا اعزل والحرس تسهر ليلاً نهاراً على رأس عمرو.

زهير : اني ارى رجلاً مقنعاً مقبلاً علينا.

عبد المدان : لعله نكير يحمل الينا البشائر. (يدخل نكير)

المشهد الثاني

(عبد المدان ، زهير ، نكير)

نكير : نكير حامل اليكم بشائر خير.

زهير : وما وراءك يا نكير ؟

نكير : ورائي عمرو بن كلثوم سيد تغلب في اشراف قومه.

زهير : أبي آتٍ بساداب تغلب، فواطربي فواطربي. ومتى سيبلغون القصر ؟

نكير : قد بلغوا اليه بوقت واحد هم والبكريون يقودهم الحرث بن حلزة.

زهير : أبي في القصر، فيا لسروري، يا لفرحي، يا لغبطتي، يا لهنائي. فاني اسرع اليه، بل اطير على جناح الشوق والحب، هلمّ يا عبد المدان، ثم ابشر صديقي ابن الحرث بقدوم ابيه.

المشهد الثالث

(نكير وابن سنار)

نكير : (يرفع عن وجهه البرقع) يا يوم ثأري طال احتجابك عني ؛ يا حسام انتقامي ؛ متى يصبغك غضبي بدم خصمي . يا ابن هند ، انكرت نديمك المتلمس . غيرته غير الزمان وخطوب الحدثان فخفيت عليك معرفته .

ابن سنار : (يدخل مسرعاً اليه) : أو انت المتلمس يا نكير .

المتلمس : (يرجع البرقع باسرع من لمح البصر) . أمسك جنٌّ ام عراك جنون ؟ مضى المتلمس بصحيفته .

ابن سنار : سمعتك ؛ فلا تحاول الانكار ، على ابن سنار ؛ فقد كان يردد على ابي قوله :

بنيَّ ان آخيت فكن كالمتلمس وان عاديت فكن كالمتلمس .

المتلمس : انت ابن سنار ، رحم الله سناراً . كان ابوك اوفى الناس ذمة ، واصدقهم عهداً ، واخلصهم مودة ، وجوزي شرَّ جزاء .

ابن سنار : الست المتلمس نديم عمرو بن هند وشاعره صاحب ابي ؟

المتلمس : اذا كنت انت ابن سنار ، فانا جرير بن عبد المسيح الملقب بالمتلمس .

ابن سنار : يا عزائي ورجائي من الناس كلهم . عليك وضعت اعتمادي لاخذ ثأري . قتل ابن هند ابي من غير ذنب .

المتلمس : ان ثأري اعظم واكبر .

ابن سنار : وما ثأرك ؟

المتلمس : كنت في منادمته مع ابن اختي طرفة بن العبد البكري ؛ فساءنا يوماً ؛ فهجاه طرفة ، وهجا عبد عمرو ؛ فوشى به العبد الخائن .

ابن سنار : وشى به وهو ابن عمه ؟ واين حرمة النسب ؟

المتلمس : اللئيم لا يراعي حرمة القرابة ولا يحفظ حــق الصداقة .

ابن سنار : وما فعل عمرو ؟

المتلمس : دعانا وقال لنا : لعلكما اشتقتما الى اهلكما ؛ واحببتما الانصراف من عندي . قلنا له : نعم ! فصرفنا من عنده وناولنــا

كتابين الى المكير عامله على البحرين . ففتحت الكتاب واذا به : « باسمك اللهم ، من عمرو بن هند الى المكير ، اذا اتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه ، وادفنه حياً .

ابن سنبار : يا للامر الفظيع !

المتلمس : فالقيت عند ذلك الصحيفة في النهر وقلت لابن اختي : يا طرفة ، معك والله مثلها ؛ فقال : كلا ... ثم جاء الى المكير فقطع يديه ورجليه ودفنه حياً .

ابن سنبار : يا لتساوة تقصر عنها الأبالسة ! وما اتيت تصنع هنا ؟

المتلمس : جئت متنكراً باسم نكير، وجعلت نفسي ساعياً عند عمرو ، لاسعى الى حتفه العاجل . واروي غليلي بموته وادرك ثأري .

ابن سنبار : وانّى لك السبيل الى ادراك ثأرك وعمرو امنع من عقاب الجو ؟

المتلمس : هذه ساعة المحاكمة بين تغلب وبكر . وعمرو بن هند يميل الى بكر ، فيحكم لهم على تغلب فانتهز انا غضب سيد تغلب ما استطعت . مطلعاً اياه على جميع فظائع ابن هند ، وقد جمعت رجالا ممن اساء اليهم ابن هند استعين بهم على بلوغ مأربي .

ابن سنبار : وهكذا تثأر لي ولك .

المتلمس : ولامة العرب جمعاء اثأر .

بهذا اليوم ادرك كل ثأري   وثـأر العرب طرّا اجمعينا
اثير عليك تغلب يا ابن هند   وسيدهم مـلاذ اللائذينـا
واستدعي لثأري كل جنّ   واستدعي ابـالس ماكرينا
حسبت الناس كلهم عبيدا   وما استثنيت يا ابن الخائنينا
فنحن العرب سادات البرايـا   وحاشا أن نكون محقرينـا

(بعد الاشعار يسمع غناء) .

ابن سنبار : اسمع غناء فان الملك آت . (يخرجان) .

المشهد الرابع

(الملك وحاشيته – نشيد عند دخول الملك)

(عمرو بن هند – خالد – مرّه)

عمرو بن هند : (لجلسائه) من ترون تأتي به تغلب لمقامنا هذا ؟

خالد : شاعرهم وسيدهم ، عمرو بن كلثوم اعز الناس .

عمرو بن هند : فبكر بن وائل ؟

خالد : لا تفرج بكر بن وائل الا عن الشيخ الاصم يعتز في ربطته تيهاً ، فيضعها على عاتقه ، اعني الحارث بن حلزة .

عمرو بن هند : من افضل السيدين ؟

خالد : الحرث افخر العرب ، وعمرو بن كلثوم ، اعز العرب نفساً واكثرهم امتناعاً وانقاهم حسباً .

عمرو بن هند : هل تعلمون احداً من العرب تأنف أمه من خدمة امي ؟

خالد : نعم ، ام عمرو بن كلثوم .

عمرو بن هند : ولِمَ ؟

خالد : لأن اباها مهلهل بن ربيعة ، وعمها بن وائل اعز العرب ، وبعلها كلثوم بن مالك افرس العرب وابنها عمرو وهو سيد قومه .

عمرو : وهل تعرفون احداً من العرب يأنف من ان يخضع الي متذللاً ؟

خالد : عمرو بن كثوم .

عمرو بن هند : سوف تعرف عزة آل كلثوم بعمرو وابنه زهير .

المشهد الخامس

(يدخل عمرو بن كلثوم مع قومه) (والحرث بن حلزة مع قومه)

عمرو بن كلثوم : (داخل) الا هبوا وحيوا الملك عمرا .

الحرث : (وهو داخل) ملك اخضع البرية لا يوجد فيها الا ما يسديه الثناء ؛ ملك عادل وافضل من يمشي ، ومن دون ما لديه الثناء .

الجميع : حيا الله الملك .

عمرو بن هند : حيا الله وجوه تغلب وبكر بن وائل ؛ نزلتم على الرحب والسعة ، والدار لكرام القوم موسعة ، لصالح العشيرتين دعيتم

وليتم ، وعرفت لكم حسن الصنيع . واقتسمونا حكماً ورضينا ، فاسمعونا ما يرضينا .

عمرو بن كلثوم : (للحرث) يا اخا الوضح ، جاءت بك اولاد بكر تفاضل عنهم وهم يفخرون عليك .

الحرث : وعلى من اظلّت السماء كلها يفخرون ، ثم لا ينكر ذلك .

عمرو بن كلثوم : اما والله لو لطمتك لطمة لما اخذوا لك بها .

الحرث : والله لو فعلت لما افلت بها انت ومن فضلك .

عمرو بن كلثوم : ان لنا عليكم لحقاً .

الحرث : انكم على باطل .

عمرو بن كلثوم : غدرتم يا بني بكر ، ونقضتم العهد ، وانتهكتم الحرمة وسفكتم الدماء واجليتم ....

الحرث : انتم الذين فعلتم ذلك ، قذفتمونا بالعضيهة ، وأسمعتم الناس بها وهتكتم الحجاب والستر بادعائكم الباطل علينا .

عمرو بن كلثوم : تحاكمنا اليك يا ابا هند ، فانصف بيننا ، ابيت اللعن ، ولا عراك ذم .

عمرو بن هند : حمل الي سبعون رجلاً من اشراف بكر ، فجعلتهم في وثاق عندي . فان كان الحق لبني تغلب ، دفعتهم اليهم وان لم يكن لهم حق ، أخليت سبيلهم — وان ولدتكما ، يا عمرو ، ويا حارث ، رهن عندي الى ان يتم الصلح . وبما انه ليس لفريق بينة على الفريق الآخر ، فلقد اقمت الشعر بينكم حكماً وفاصلاً . قم يا عمرو ، وانشدنا في قومك مرتجلاً .

عمرو بن كلثوم:

ابا هند فلا تعجل علينا ... وامهلنا نخبرك اليقينا
بان نورد الرايات بيضا ... ونصدرهن حمرا قد روينا
متى نتقل الى قوم رحانا ... يكونوا في اللقاء لها طحينا
اليكم يا بني بكر اليكم ... الما تعرفوا منا اليقينا
الما تعلموا منا ومنكم ... كتائب يطعن ويرتمينا
نزلتم منزل الاضياف منا ... فعجلنا القرى ان تشتمونا
غدرتم يا بني بكر غدرتم ... نقضتم عهدنا يا غادرينا
اذا عدّوا المفاخر بين قوم ... سراة الناس كنا الأولينا
ونوجد نحن امنعهم ذمارا ... واوفاهم اذا عقدوا يمينا

وكنا الايمنين اذا التقينا — وكان الايسرين بنو بنينا
فصالوا صولة في من يليهم — وصلنا صولة في من يلينا
فآبوا بالنهاب وبالسبايا — وابنا بالملوك مصفدينا
ترانا بارزين وكل حيّ — قد اتخذوا مخافتنا قرينا
كانا والسيوف مسللات — ولدنا الناس طرًّا اجمعينا
ونشرب ان وردنا الماء صفوا — ويشرب غيرنا كدرًا وطينا
ملانا البرّ حتى ضاق عنا — وظهر البحر نملأه سفينا
لنا الدنيا ومن اضحى عليها — ونبطش حين نبطش قادرينا
اذا بلغ الفطام لنا صبيّ — تخرّ له الجبابر ساجدينا

عمرو بن هند : قم يا ابن حلزة وذد عن حوض قومك

الحارث: ايها الناطق المرقش عنا — عند عمرو وهل لذاك بقاء
لا تخلنا مذللين فانا — طالما قد وشى بنا الاعداء
فبقينا رغم الوشاة تعلينا — حصون وعزة قعساء
تخلطون البري منا بذي الذنب — ولا ينفع الخلي الخلاء
فاتركوا الزور والتعدي ولا — تتعاموا ففي التعامي الداء
واذكروا عهدكم قديمًا — وما قدم فيه العهود والكفلاء
حذار الجور والتعدي وهل — ينقض ما في التحالف الاهواء
ايها الفاخر المبالغ مهلا — عند عمرو وهل لذاك انتهاء
انسيتم لما دعاكم وقلتم — لا ولا هل نحن قوم رعاء
فغزاكم مليكنا شر غزو — كان لا رأفة ولا ابقاء
هل نسيتم ايام ينتهب الناس — انتهابا لكل حيّ عواء
حين ملنا على تميم فاسرفنا — وفينا بنات قوم اماء
كم قتلنا منكم رجال وغى — ايام كان الوغى لنا واللقاء
فكفّا كم تيها وكبرا فمن حدثتموه — له علينا العلاء
وفعلنا بكم كما علم الله — وما ان للهالكين دماء
يا بني تغلب كفانا فانا — تعلن الارض فضلنا والسماء
وكفانا فخرا بان لنا العقل — شهيد وانتم الادعاء
اين فضل الشعوب من فضل بكر — عند عمرو بل اين منا استواء
من لنا عنده من الخير آيات — ثلاث في كلهن القضاء
حين وافى قصد القتال جموع — من معدّ لكل حيّ لواء

فرددناهم بطعن كما يخرج من خربة المزاد الماء
وفككنا غلّ امرئ القيس عنه بعد ما طال حبسه والعناء
وفعالا للمجد سنى فعلنا ليس يحصي حجمها الاحصاء

عمرو بن هند : لك درّ ابن حلزة مدح عمرو قومه بالاقوال ، وعظم الحرث ذويه بالفعال . انقاد ابن كلثوم الى عواطف القلب ، والعواطف ترمي الى المغالاة والاغواء . واستنار ابن حلزة بمصباح العقل والعقل يهدي الى الحق والهدى . التغلبي اصول واقول ، والبكري اعقل وافعل . عمرو في الكلام ابلغ وفي النظم أشعر . والحرث في اداء الادلة احذق . وفي ترجيح الحجة امهر . رصع التغلبي معلقته بضروب البيان من مجاز واستعارة وكناية وتشبيه . ودعم اليشكري خطبته باصناف البرهان والتبيان من تبرئة وتأثيم وتذليل وتعظيم .
ذكر التغلبي مآثر تغلب ومآثرهم ترفعهم . ولم يذكر لبكر معايب فيضعهم . وذكر البكري مناقب بكر ومثالب تغلب فرفع بكرًا ووضع تغلب . ادنُ مني يا حرث وصافح يدي يا اشعر الشعراء (يدنو الحرث يصافح الملك) قد وهبت لك السبعين بكريا الذين كانوا رهناً عندي ووهبت لك ولدك النجيب .
واما انت يا زهير فتبقى رهناً عندي وفقاً للعهود والمواثيق .
(يتطاير الغضب في عيني عمرو ولكنه يضبط نفسه) .

زهير : ركبت الشطط في حكمك ايها الملك وما انصفت .

عمرو بن كلثوم : تعديت طورك يا بني فالزم حدود الأدب .

عمرو بن هند : لو لم يكن لك معذرة في حداثة سنك وشفاعة في مكانة ابيك ، وحرمة الجوار ، لاقتصصت منك اقتصاصاً لم يقتصه ملك عادل من سفيه جاهل . وانت ما يدريك الشعر اي شيء هو ؟

زهير : نحن بني تغلب نولد جميعنا شعراء ولا يسوغ ان يحكم بين الشاعرين الا الشاعر . ان شاعر تغلب جواد يجري في مضمار الشعر فلا ينقطع نفسه حتى يبلغ الغاية سابقاً . وشاعر بكر متقطع الانفاس يلهث عياء في الحلبة ولا

يصل الى الغاية الا جاهداً سكيناً .

ظليم : شاعر تغلب يقرع الاسماع ببهرجة الالفاظ والمباني . وشاعر بكر يملأ العقول بسديد الافكار والمعاني. شاعركم نسمع له جعجعة ولا نرى له طحناً . وشاعرنا نرى له طحناً ولا نسمع له جعجعة .

زهير : شاعرنا رجل بأس وحماسة ؛ اذا استعرت في صدره نار الحمية. اثار اشرارها في صدور سامعيه، ففكروا كما يفكر ؛ وشعروا كما يشعر ، فكأنهم والشاعر كثيرون في واحد، بل واحد في كثيرين . فان طرب يطرب ، وان غضب يغضب ؛ وان فاخر يعجب ، وان غالب يغلب . وشاعركم شيخ بردت همته ، وخمدت حميته ، فعمد الى الدهاء ، والدهاء سلاح العاجز. فذكر احاديث مر عليها الدهر وانطلت حيلته على الملك عمرو .

ظليم : الى الحيلة والدهاء لا يعمد من كذب وفند. ذكر ابوك لقومه مفاخر ومآثر زاعماً واهماً قائلاً لاداعماً ، ففند ابي تلك المزاعم بايراد الحوادث والشواهد. ابي لم تخمد حميته. ولم تبرد همته ؛ لكنه رأى نار الحمية الفارغة استعرت في صدر ابيك فصب عليها ماء التهكم البارد ليطفئها .

زهير : ابي نفسه ابية تأبى التمليق : فلم يتصاغر امام الملك متذللاً مادحاً مملقاً ذاكراً خدم قومه ، كما فعل الحرث. فلم تفضل الحارث ايها الملك الا لانه مدحك وذكر نجدات قومه لقومك . وذكر ابي ايضاً خذلان تغلب للملك .

ظليم : قوم ابيك يخذلون الملك في جميع احواله ، وقوم ابي ينصرونه في جميع اعماله . فأي القومين افضل عند الملك في رأيك ؟

زهير : لكن اين نفس الشيخ البطيء المتثاقل من نفس الفتى المتحمس . اين وقفة المؤرخ الجامد من وقفة الشاعر المتهوس . الحرث متحير مسهب ؛ وابي منشد مطرب .

ظليم : ليس المقام مقام انشاد وطرب واعجاب ، بل مقام اثبات وحجة وبرهان وهل الحمية في مقامنا افضل ام الروية .

زهير : من جمع في شعره الفخامة والجزالة الى السهولة والسلاسة. الا تعلم ان الشعر صورة الشاعر. الا ترى نفس ابي مصورة في

كل بيت من قصيدته فقوة شعره شدة وقوة ومتانة التراكيب هي متانة عزمه .

ظليم : من جمع في شعره تفنين الشاعر وتروي الحكيم . الم ترَ في كل بيت من قصيدة ابي خبرة الشيخ المحنك وفطانة الحكيم المتروي ؟

زهير : من جمع في موضوع واحد شتات المعاني المشتتة وضمها الى معنى واحد ؟ اي مزية يفتخر بها الاقوام لم تدخل في قصيدة ابي ؟

ظليم : واي فضيحة تسب بها القبائل وتعير بها العشائر لم يلمح اليها ابي الحرث ؟

زهير : فقد حوت منظومة ابي القوة والجمال والفضل والكمال والحسب والنسب والنفوذ والاباء والكرم والخصال الشماء والشجاعة والاقدام وكل ما يعظم الاقوام بابدع الكلام .

ظليم : وخطبة ابي حوت عقلاً راجحاً وسهماً جارحاً وفخراً مادحاً وهجاء قادحاً .

عمرو بن هند : كل فتاة بأبيها معجبة . لقد اتيت يا فتى عن حسن بيان وبلاغة منطق . لكنك تطاولت الى ما فوق قامتك وارتفعت الى اعلى من هامتك. على ان حكمنا باق . تبقى رهيناً عندنا حتى يتبين لنا عز ابيك وفضل ذويك . اتبعني يا زهير .

زهير : ان رضي عمرو بذلك رضيت .

عمرو بن كلثوم : اتبع الملك يا بني والله يفعل ما يشاء ويريد .

المتلمس : (وهم خارجون) هـــذا رجل ثأري فعلي بحضور مظلومي ابن هند لديه (يخرج الجميع) .

المشهد السادس

(عمرو بن كلثوم – مرّة – ثم نكير – والاعمى – وابن سنّار)

عمرو بن كلثوم: الا لا يعلم الاقـــوام انا ... تضعضعنا وانا قـــد ونينا
الا لا يجهلن احد علينا ... فنجهل فوق جهل الجـــاهلينا
بأي مشيئة عمرو بن هند ... تطيع بنـــا الوشاة وتزدرينا
بأي مشيئة عمرو بن هند ... تعامل بالجفـــا فخر البنينا

مرّه: عجبت لك يا عمرو ، ما قلت حرفاً في وجه ابن هند ولا فُهت بكلمة في سبيل زهير ، أأرهبتك سطوته ام افحمتك صولته ؟

عمرو بن كلثوم : لست رجلاً تفحمه صولة او ترهبه دولة . لكني لا اتذلل لابن هند في ولدي. ولسوف اظهر عليه بالحق الناصر او بالسيف الباتر .

نكير : (وهو داخل) مظلومون ظلمهم الظلام اتوا يتظلمون الى رجل المروءة والحمية .

عمرو بن كلثوم : من الظالم وما الظلامة ؟

نكير : الظالم عمرو بن هند. والظلامات ما لها حد. تكبر عمرو وتجبر، وبغى وطغى . فلم يحفظ للعرب كرامة ولا رعى للعباد حرمة. حطّ من قدرك يا ابن كلثوم. يا سيد العرب وخفض من شأن بنيك وهضم حق عشيرتك اذ آثر خطبة الحرث على منظومتك حسداً وبغضاً .

عمرو بن كلثوم : اوّ هذه كل ظلامته ما ظلم من حكم كما علم .

نكير : سمعت عمرو بن هند يقول : آليت على نفسي ألية ان اجدع كل انف شامخ واخفض كل رأس عال واذلل كل عزيز واقوم كل خد مصعّر . لقد انفت نفسي من انفة العرب وسئمت من إبائهم .

عمرو بن كلثوم : ان قامته اصغر وقوته احقر ويده اقصر من ان تنال عزة العرب او تلين قناتهم .

فان قناتنا يا عمرو اعيت على الاعداء قبلك ان تلينا
تهددنا وتوعدنا ، رويدا متى كنا لأمك مقتوينا
اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقرّ الخسف فينا

نكير : طالما سامنا عمرو بن هند خطة الخسف والهوان . واقمنا على الذل والضيم وما قام منا سيد عزيز يذود عن حوضنا المغارم ويبعد عن فنائنا المظالم وينصر المظلوم على الظالم . ما ذنب طرفة بن العبد حتى بعث بكتاب الى المكبر فقطع يديه ورجليه ودفنه حياً . وما جريرة المتلمس حتى حمله حتفه على كفه وكاد يكون نصيبه نصيب طرفة لو لم يُلق

الصحيفة في الماء وينجو بنفسه ، وهو الآن هائم على وجهه لا تقف الناس له على اثر .

ابن سنمار : وما جناية ابي سنمار حتى القى به من اعلى القصر فترضض لحمه وتحطم عظمه وتهشم جسمه اذ بنى له هذا الخورنق الشاهق فكان جزاؤه ان قذف به من حالق حتى لا يبني مثله لغيره من الخلائق .

اعمى : (يدخل اعمى) وانا الكفيف المسكين ، ما ذنبي حتى فقأ عيني وحرمني نور الشمس وخلف صبية وراءي لا سند لهم ولا معين. نظرت اليه محدقاً فصرخ بطاهيه: اليَّ بنصل محمي . ومــا شعرت الا واحر من الجمر بعيني فصرخت وصحت وولولت وهو يقول لا بأس عليك هذا يعلمك الاحتشام واحترام السلطان .

عبد المدان : ما جريرة ولدك يــا سيد تغلب ، فقد قضى عليه ابن هند بالسجن لانــه دافع عن ابيه بحضرة الملك ولــا هممت بالاحتجاج عنه طردني من امامه فجئت اليك اناشدك الله ان تخلص ولدك . زهير في السجن يا عمرو خلص زهيراً يا عمرو .

عمرو بن كلثوم: لقد طفح الكيل وفاض الاناء ونفدت جعبة الاصطبار . احرجتنا يا ابن هند حتى اخرجتنا . امض يا مرّه الى نهر الابلة واجمع فرسان تغلب وكن هنا بعد يومين .

حذار حذار يا عمرو بن هند ... فحــاذر بطشاً اذ تبتلينــا
فنحن معاشر الاعراب قوم ... نعاف الذل لا نرضى المهينا
اذا ثارت حميتنــا وفارت ... دمانا من ينجي المعتدينــا
اما العرب الابــاة ونحن منهم ... ومن منــا يرى ان يستكينا
بغيت وما دريت هداك رشد ... بان البغي وجــه السافلينــا
تدين الاسد في الغابات قسراً ... وكبر العرب يأبى ان يدينــا
فــلا تطلب محالا او حراما ... حرام او محــال ان ندينــا
فما من ظالم في الارض يبقى ... وفيــا فرع عرب امجدينــا
فصبراً يا بني الاعراب صبرا ... فهــذا اليوم يوم الظالمينا

(ستار .)

الفصل الثاني

(في سجن الخورنق)

المشهد الاول

زهير وحده — السجان يتمشى

زهير : علامَ علامَ يا ملك الليالي ابيت اليوم ان تسبي العيونا
هتاف الناس يصعد في الاعالي يحيي فيك محيا العالمينا
كم لك طلعة بين الدياجي تنير العين تحيي الناظرينا
فلولا النور تبعثه مضيئا لبات الليل مكتئباً حزينا
فما لك لا تضيء فدتك نفسي تعزي القلب اذ تنفي الشجونا
فهل وضعت لك الدنيا قيودا وهل شادت لك العليا سجونا
تمثل عمرنا في كل طور فتكبر نامياً كالاصغرينا
وتهرم ثم تفنى في محاقٍ كذاك المرء تفنيه السنونا
كأنك عاشق اذ انت بدر وما اشقى حياة العاشقينا
اذا غابت غزالته بغرب بدا في الشرق مصفراً جبينا
وبث باثر غاديةٍ عيوناً نجوم الليل ما ابهى العيونا
ويصعد من تلهفه زفيراً نعيماً او انيناً او حنينا
وعند الوصل بعد الجد يمشي هلال الشك يوشك ان يبينا
فيدنو ساعة في كل شهر ويخجل بعد ذاك ان يبينا
كذا الدنيا فراق والتقاء وهجر بعد وصل المغربينا
اذا عشق الفتى دنياه يشقى ويضعف ضوءه حيناً فحينا
ويسعد اذ تناءى المرء عنها ويعظم فضله في الاعظمينا

المشهد الثاني

السجان : مالك تحيي الليل وانت سهران نامت عيون الملا وطرفك يقظان.

زهير : من فقد الحرية فقد النوم وهل ينام الاسد وهو سجين وأنى للنسر ان ينام في قفص (يدل على هزار في قفص) اما ترى هذا الهزار كيف يتململ في سجنه يقضي الليل ولاتغمض له عين .

السجان : هذا الهزار بعث به اليك ظليم بن الحرث ليكون لك سلوى على البلوى وعزاء في الشقاء تعال وخذه .

زهير : (يتقدم) ظلمت صفاء ودك يا ظليم . فما اصفى سريرتك وانقى طويتك واصدق نيتك واثمن هديتك .

السجان : (يناوله القفص) تناول العصفور ولاعبه لعله يسلي همومك ويبدد غيومك .

زهير : (يتناوله) هلم يا سجيناً نظيري وكن الليلة سميري (يذهب السجان الى طرف المرسح)

السجان : (يخاطب نفسه) ما بال نكير ابطأ عليَّ فقد وعدني بليلة شرب وطرب .

زهير : (في السجن — في الطابق الاعلى ، يطلع البدر) اهــلاً بطلعتك يا قمر فقد انعشت قوتي وخففت عني شجني .

السجان : متى اقول اهلاً بك يــا نكير فقد بردت غليلي ورويت عطشي .

زهير : (يفتح القفص ويرى رقعة) رقعة ، ما عسى ان يكون فيهــا (يفتح الرقعة ويقرأ) :

يا زهرة الدنيا يا زهير ، عارضتك محافظة على شرف ابي وشرف دين العرب. على اني ما حنثت بيميني ولا نكثت عهدي ولا خفرت في ودادك ذمتي وانا الليلة اخلصك أو اموت فداك (الامضاء) ظليم . (يطوي الرقعة ويقول) لله درك يا ظليم مثلك تكون الاصدقاء .

السجان : قبحاً لك يا نكير ما اقل صدقك ووفاءك واكثر كذبــك وغدرك لقد جفَّ والله ريقي والتهب حلقي .

زهير : (يخاطب الهزار) .

اعصفور السماء خلقت حرّاً ... تحلق في الفضاء مــدى السنينا .
لقد ظلموك ظلماً يا نظيري ... وان الظلم طبــع الغــادرينا

(يطلق سراحه) .

هزار الايك كن حرّاً وغرّدْ ... ولا تعلق بفخّ الناصبينا
فما اشهى الحياة اذا استقلت ... واشقاها اذا مــا قيّدونا

وما ادنى الانام وهم عبيد واعلانا اذا ما حررونا
برانا الله احرارًا جميعاً فيا قوم الطغاة ظلمتمونا
برى الاسماك تسبح في بحار وفي الافلاك رهطاً سابحينا
نجوم طالعات ساطعات على الدنيا يسرّحن ويغتدينا
تطوف الشمس في الافلاك دهرًا تحيّينا صباحاً ما حيينا
وتطلع نجمة الاسحار صبحاً تصبحنا بوجه يستبينا
وفي الدنيا طيور نازحات فتسبح في الفضا عصباً تبينا
تغني الطير في الاشجار لحناً بتغريد يلذّ السامعينا...
تهبّ الريح حيث تشاء تمضي ولا تلقى الرياح معارضينا
فكل في السما والارض حرّ سوى الانسان عبد السائدينا

(يسمع صوت نكير من خارج) سعيد. سعيد.

السجان : هذا صوت نكير.
نكير : هل خلا لنا الجو لنشرب ؟

المشهد الثالث

السجان : خلا لنا الجو لنشرب ونسكر ونطرب.
نكير : (وهو داخل) وانا خلا لي الجو لآتي بالعجب المستغرب (يدخل المغنّي مع نكير وبيده اللازم من اكل وشرب).
السجان : اهلاً بالوافد علينا. من اين القيان وبنت الحان لقد بلغت نفسي التراقي قبل ان تبلغ الينا
نكير : احببت ان يبلغ بك الطرب مبلغه لان السرور لا يتم حتى يستجمع خلقاً رضياً وخلقاً وضيئاً واكلاً مرياً وشرباً هنياً وصوتاً شجياً (يضع ما معه على الطاولة) هيا بنا يا صاح، نملأ الاقداح. ونرشف الراح. ونسبح ببحار الافكار والافراح. (يجلسان) (ويصب في القدح ويقول): غننا يا افنون. فالجنون فنون. والسكر جنون — غننا صوتاً من شعر ابن كلثوم.

الا هبي بصحنك واصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا
مشعشعة كأن النجم فيها اذا ما الماء خالطها سخينا

صرفت الكأس عنّا امّ عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا
وما شرّ الثلاثة امّ عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا
وكأس قد شربت ببعلبك واخرى في دمشق وقاصرينا
وانّا سوف تدركنا المنايا مقدرة لنا ومقدرينا
وانا غداً وانا اليوم رهن وبعد غد بما لا تعلمينا

(يغني المغني هذه الابيات بعد ان يقولها نكير والسجان يشرب ونكير يتظاهر بالشرب وبعد البيتين الاولين الى سخينا) .

نكير : ما اصفى الصوت !

السجان : ما احلى النغم ! (وبعد البيتين الثانيين الى « تصبحينا »)

نكير : لله درك يا بلبل السرور .

السجان : ما اشجى تغريدك يا شحرور الحبور ! (وبعد الاربعة الابيات بما لا تعلمينا) .

نكير : أطربت حتى اغربت يا مغني !

السجان : (بلهجة السكرن) سلبت العقل ثم الفكر مني .

نكير : غننا يا مغني صوتاً من شعر المنخل اليشكري (متظاهراً بلهجة السكران) .

ولقد شربت من المدامة بالكبير وبالصغير
فاذا سكرت فانني ربّ الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني ربّ للشويهة والبعير

(ويغني المغني هذه الابيات والسجان يضيع الرشد شيئاً فشيئاً ويسقط في سبات عميق ونكير ينظر اليه ويقوم ويدور حوله حتى اذا تحقق انه فقد الرشد بالكلية قال للمغني) :

نكير : كفى يا صاح خذ الكؤوس وانصرف .

المشهد الرابع

(نكير ثم زهير)

نكير : عليّ الآن ان اثبت بن عمرو في عزمه. فيثير عناده غضب ابن هند. وتزيد الضغائن بين العمرين (ينادي) : زهير ، زهير !

زهير : (يطل) من يدعوني ؟

نكير : خلّ وفي لامر اتاك .

زهير : الساعي نكير. لعل قدومه خير (ينزل اليه) .
ابخير تبشرني ام بشر تنذرني ؟

نكير : الخير والشر بيد الانسان وليس بيد القدر كما تزعمون والعاقل من يجني من الرزايا مزايا ويقطف من شجرة الشر ثمار الخير. والجاهل من يستغل من حقول الخير غلال الشر .

زهير : من انت ايها المقنع ؟

نكير : خل من اصحاب ابيك .

زهير : اكشف القناع ان كنت صادقاً. فان الله لا يحب المتسترين ولو كانوا من ذوي العاهات .

نكير : (يكشف القناع) لست من ذوي العاهات. انما انا رجل احجب وجهي عن الاشرار لئلا ارى فظائع الليل مطبوعة على جباههم في النهار .

زهير : من انت ولم تحجب نفسك عن الناس ؟

نكير : سوف تعرف غداً من انا وحجبت نفسي عن الناس لانهم لا يستحقون ان يروني ولا ان يعرفوني. الناس اذلاء ، وليس فيهم عزيز ، ادنياء وليس فيهم شريف. لئام وليس فيهم كريم ، اشقياء وليس فيهم صالح .

زهير : استشن يا رجل .

نكير : عبيد وليس فيهم حر ، غادرون ، ماكرون ، كافرون ، جاحدون ، وليس فيهم وفيّ . كاذبون ، مخادعون ، نمامون ثلابون وليس فيهم صادق . حاقدون ناقمون ثائرون مبغضون وليس فيهم محب. ان صنعوا قبيحاً فلغير سبب حسن .

زهير : استثن يا رجل .

نكير : لا استثني احداً . فمن لم يكن فيه طبع من طباع الناس ، فليس هو من الناس ، ليس هو بشراً . ان هو الا ملاك رجيم . وكم من ملاك في صورة انسان وكم من شيطان في صورة ملاك . وما الناس في هذا الزمان الا ذئاب في جلود الحملان شيوخ تفسد الرجال والنساء . ونساء تفسد الرجال والشبان . وشبان يفسدون حرائر الجواري وكرام الفتيان . وفتيان تفسد البنات والصبيان . السنة احد من السنان تنفذ في طي الجنان . تمزق لحمان الانسان . كل عن عيوبه اعمى اصم ابكم . وله من الغير الف وجه والف اذن والف عين . والف لسان . وهاك مبدأ الناس اليوم : ان شئت ان تفلح وتنجح . فاسرح في فضاء الخداع والنفاق وامرح — واطعن في اعراض الناس واقدح .

زهير : من انت يا هذا ابشر ام ملاك ؟

نكير : انا صوت الحرية الصارخ في البلاد العراقية — انا هتاف النفوس الابية — انا صراخ الشهامة والمروءة والعزة والحمية . انا شبح الاريحية العدنانية — انا ظل النخوة العربية — انا روح الانسانية الحقيقية — انا صوت البشرية الحالية — انا درياق لسم الحية الادمية — انا نفس جدودنا القوية — انا دواء الامراض الوبائية — انا طاعون العبودية — انا ممثل الارواح السموية — انا لسان الصدق والعدل والحرية — انا صورة الابدية .

زهير : وما تبغي مني ؟

نكير : ان اطهرك من عيوب الناس وامحو عنك صورة البشر .

زهير : وكيف ذلك ؟

نكير : بان ابث في ضلوعك روح الحر العزيز ، والشهم الكريم الذي لغير الله لا يذلل .

كن كبير النفس يا زهير ولا تتصاغر . كن ثابت العزم ولا ترجع عن كلام قلتــه فتصبح اعز العرب . فان عمرو ابن هند ابى الاّ ان يذلّلك وقد سمعت انه سيأتي الساعــة يرهبك بالوعيد والتهديد لتنحط على قدميه .

زهير : لا ينحط زهير على قدم حتى يغيبه اللحد ويلاشيه العدم (يسمع صوت من خارج) زهير. زهير.

نكير : هذا صوت ظليم يدعوك فها اني ادعكما واذهب الى ابيك واطلعه على طويـــة امرك وثبات عزمك (يتقنع ويخرج ويدخل ظليم بن الحارث).

المشهد الخامس

(زهير وظليم)

ظليم : (وهو داخل) ما وطئت قدمي مكاناً الا عثرت فيه على نكير (يرى زهيراً يسرع اليه) ناشدتك الله الا حفظت علي.

زهير : لا بأس عليك. ذدت عن حوض ابيك كما ذدت عـــن حوض ابي.

ظليم : ولو لم افعل لما كنت اهلاً لان اكون لك اخاً.

زهير : ما احلى شمائلك يا ظليم، وما اكمل خلقك واجمل خلقك.

ظليم : لامر مهم جئتك.

زهير : لا شيء اهم عنـــدي من شعرك. بالله عليك ان تنشدني منظومتك في محاسن الطبيعة ثم تخاطبني في امرك الهام.

ظليم : واذا انشدتك واطأتني على ما اريد.

زهير : انشدني اواطئك على ما تريد. ولو كان غيرك لاستثنيت عليه ما ينافي العز والشرف واما انت فكل ما بك يحدث عن المعالي ويرمي الى مكارم الاخلاق فلا استثني.

ظليم : اذن انشدك:

ثلاث بدائع في الكون تسمو على اسمى بهاء العـــالمينا
نجوم الليل تسطع في الدياجي تمثـــل صورة المتنوريـــنا
طيور الجو تصعد في الاعالي تصور صورة المتحرريـــنا
بهاء الكون صورة كل حسن ورسم الطهر عين الاصغرينا
واحسن من محاسن كل حسن عيون الام تنظر في البنينا...
ذكاء الفهم نجم في سماء ومـــا اسنى ذكاء الفاهمينا
نقاء العرض في الدنيا بهي ومـــا ابهى نقاء الاطهرينا

وحر القول حر العقل حسن يزين الخلق يندر ان يكونا
ترى في الحب جساً لا يضاهي وابهى الحب حب الوالدينا
يرينا الحب ما معنى التفاني وحب الام اجمل ما يرينا
كنور الشمس ينقسم فيبقى بكامله بنور يستبينا

زهير : هكذا يكون الشعر والا فلا. اذا كان هذا نظمك صغيرا فكيف يكون نظمك كبيرا .

ظليم : كدت تنسيني باشعاري ما لاجله جئت اليك .

زهير : ولِمَ جئت الي ؟

ظليم : جئت اخرجك من السجن .

زهير : تخرجني من السجن وكيف ذلك ؟

ظليم : ان البث مكانك .

زهير : تلبث مكاني وما جريرتك ؟

ظليم : وانت ما جريرتك ؟

زهير : انا اغظت عمرًا واغضبته .

ظليم : وانا اغظت زهيرًا واسخطته .

زهير : ان كنت اسأت الى زهير فزهير يصفح واما عمرو فلم يعف عن مسيء قط .

ظليم : وهذا ما حملني ان آتي اليك. فقد سمعت عمرًا يقول: ان لم يرجع الليلة عن كلامه ويخضع مرغماً لحكمي . قتلته شر قتلة وان غضبت علي تغلب .

زهير : اما الخضوع ، فان خضعت السماء للارض يخضع ابن عمرو لابن هند. واما القتل فموت البري عز له وفخر. ولا يأسف على الحياة الا عبد الشهوات .

ظليم : بأبي انت وامي، تخضع ولا تموت. دعني مكانك وانصرف!

زهير : ان اعرضك لغضب عمرو وانتقامه .

ظليم : لا بأس عليّ من غضب عمرو. فهو يهاب ابي الحارث وقومه فلا يلحق بي اذى .

زهير : وابي عمرو ألا يرهب غيظه ابن هند ولا يهاب اغضاب تغلب .

ظليم : (ينظر الى السجان) لا حاجة الى المهاجنة فالسجان غريق

في سبات عميق وهو سكران لا يصحو حتى السحر. فهلم بنا ننصرف كلانا .

زهير : وأدع حياة السجان في خطر بسببي . المروءة والحمية العربية لا ترضى بهذا العار وعزة تغلب تأبى هذا الشنار .

ظليم : انا اخلّص السجان. اخبر عمرا اني وجدته سكران وان السجن فارغ .

زهير : ذلك لا يخلصه بل يزيد عليه حنق الملك فيضاعف عقابه.

ظليم : انا اضمن لك حياة السجان. انجُ بنفسك وما عليك من الغير.

زهير : ارخص متاع عندي حياتي ازاء حياة الاخرين .

ظليم : قلت لك لا بأس على السجان . افلا تثق بكلامي وشرفي وحلفي : حياتك يا زهير على شرف الهلاك .

زهير : وماذا تنفعني الحياة حين ترميني الناس بالسنة حداد مشيرين الي بالاصابع قائلين : هذا ابن عمرو فرّ من السجن مخافة ان يموت .

ظليم : بل تقول العرب : بريء وجد حيلة للنجاة من ظلم الطغاة فاعتصم بها ونجا بنفسه لكن ما لنا وهذه. هلم بنا الى ابيك في سرادقه فهو منصوب قريباً من الخورنق. فان رأى قبيحاً ان تخرج من سجنك عدت اليه .

زهير : (يفكر قليلاً) صدقت . هلم بنا نشاور ابي . (يخرجان وهما في الكوليس يسمع صوت من خارج كالرعد) .

عمرو بن كلثوم: (في الكوليس) عد الى سجنك يا اجبن الجبناء . (يرجع زهير وظليم ركضاً الى المرسح) .

(يدخل عمرو بن كلثوم ومرّة وعبد المدان) .

المشهد السادس

(عمرو بن كلثوم – مرة – عبد المدان – زهير – ظليم)

عمرو بن كلثوم : (رافعاً سلاحه على ولده) ورب ربيعة، لاجعلنك جزراً لمهندي ولا تركت آل كلثوم مثلة بين العرب.

ظليم : (بين زهير وعمرو) براء زهير من كل شائبة يا عمرو – انا المذنب فاقتلني .

زهير : بل انا الاثيم فحز حلقيّ .

ظليم : انا اغريته بالخروج .

زهير : بل انا خرجت راضياً لا مكرهاً .

عمرو بن كلثوم : رضيت بالدنية ام أكرهت عليها فلا بد لي من تطهير دم كلثوم بدمك .

عبد المدان : تأنَّ في الحكم ولا تعجل لئلا يسبق السيف العذل .

عمرو بن كلثوم:

احب الي ان تفنى وتبلى ... ولا تحيا حياة المجرمينا
فذلي ان ارى بيني نقصاً ... فيخفض من فخار الاولينا
واهوال المنون تبيد نسلي ... وأعقاب الجدود السالفينا
وتمحو ذكر كلثوم وتمحى ... من الدنيا مفاخر ما ولينا
لاطيب من كؤوس الراح عندي ... واشهى من حميا الشاربينا
باهوال المنون تطيب نفسي ... اذا لاشت دنايا السافلينا
اذا منعت منايانا الدنايا ... فما احرى الدنايا ان تجينا
واني ان اراك اليوم ميتاً ... ومطعوناً برمح الطاعنينا
لافضل من حياتك في هوان ... لئيم الخلق محقوراً مشينا
اذا دنست حياة النفس يوماً ... فخير للفتى ان لا يكونا

زهير:

احب الي ان افنى وابلى ... وتمسي كل اضلاعي طحينا
وادفن في بطون الارض حياً ... ويبقى عز كلثوم مكينا
وتهصرني سباع البر هصراً ... ولا اسعى كسعي الخائنينا
وتلهم السن النيران جسمي ... واسلم من لسان الصائبينا
وتنتاش السهام وجيب قلبي ... ولا ارمى بسهم الشامتينا
وتنقض الصواعق من سماها ... وتسحقني مخافة ان اخونا
انا ابن الافضلين فدتك نفسي ... ولا حرج على ابن الافضلينا

ظليم : ظلمت ولدك بالتهمة ورميته بالتبرية يا عمرو .

عمرو بن كلثوم : وكيف ذلك .

ظليم : لم يخرج من سجنه الا بعد الالحاح . ولم يغادره الا قصد مشاورتك. حتى اذا رأيت في ذلك شيئاً رجع الى مقره راضياً مسروراً .

عمرو بن كلثوم : هذا دمي طاهراً لا عيب فيه . الى صدري يا اعز ابيك وفخر ذويك (عمرو وزهير يتعانقان) .

زهير : رضي ابي عني ، فما اسعدني !

عمرو : ما كان اشقاني لو بدرت مني ضربة ولم اتأن .

زهير : انت وهبت لي الحياة واذا شئت اخذتها فهي لك وموتي عز لي وفخر وما سروري اذا لم يكن في حياتي مجد ابي وشرفه وعظمته .

عمرو : انت عزائي وهنائي .

عبد المدان : سمعنا يا زهير ان عمرو بن هند يحاول ان يرهبك متوعداً متهدداً لترجع عن كلامك متذللاً .

زهير : عزة بني كلثوم تأبى التذلل، وانفتهم تأنف من الخضوع .

عبد المدان : وان تهددك بالقتل ؟

زهير : ان اموت عزيزاً ولا اعيش ذليلاً .

عمرو : أتثبت على عزمك هذا امام الموت.

زهير : تتزعزع الدنيا وتتضعضع الجبال ، وعزمي لا يتزعزع ، وحزمي لا يتضعضع .

ظليم : (يتطلع) ارى ابي الحارث وعمراً وخالداً آتين الى هنا .

عبد المدان : لقد هلكنا جميعاً .

عمرو : (يستل سيفه) ومن يهلكنا والسيف بيدي ؟

عبد المدان : ليس الوقت وقت تهور واقدام ، بل وقت حكمة وترو .هل من مخبأ في السجن يا زهير .

عمرو : وعمرو بن كلثوم يختبئ من وجه عمرو بن هند خوف الموت؟ ذلك جبن وعار .

عبد المدان : ليس في ذلك جبن بل حيلة ودهاء.نختبئ لنقف على افكار عمرو ونكون على بصيرة من امره .

عمرو : صدقت (يدخلون الى السجن) .

المشهد السابع

(يدخل الحارث وعمرو بن هند وخالد – زهير – ظليم – جنود)

عمرو بن هند : (وهو داخل) ما بال ابواب السجن مفتوحة ، اين السجان ؟

خالد : هوذا السجان نائم نوم السكران ، يغط في نومه غطيط الثور. (يذهب اليه) عامر ، عامر ، مسكين عامر . (يوقظه) .

السجان : (يصحو نصف صحو):

اذا سكرت فـــانني رب الخورنـــق والسدير
وإذا صحوت فـــانني ربّ الشويهـــة والبعـــير

خالد : اضاعت رشده حميا الخمر .

عمرو بن هند : اخرجوا العبد خارجاً ثم اقطعوا رأسه وعلقوه على جدار السجن ليكون عبرة للسكيرين (يخرج مع السجان احد الجنود) .

الحارث : (الى ظليم) ما جاء بك الى هذا الموضع يا ظليم ؟

ظليم : عهد الوداد ، ويمين الاخلاص ، ومثل ابن الحارث من يفي بعهده ويبر بيمينه . ربطتني اواصر الصداقة بزهير مــن حول ورأيت سمجاً ان يخفو اخاه في الضراء ويصله في السراء اتنكر علي ذلك يا ابي ؟

الحارث : سلمت لا تنكر يـــا بني – حسناً صنعت – (الى زهير) يا ابن تغلب فرطت منك هفوة امام الملك والملك حكيم عادل فاستغفر عن هفوتك يصفح عنك .

زهير : ما زلّ من ذاد عن حوض ابيه .

خالد : تطاولت في حضرته ، وابوك عمرو نفسه انكر عليك ذلك. فاجثُ على قدميه واطلب الغفران .

زهير : لم ينصف بحكمه وقلت : ايها الملك ما انصفت. وانا مصر على قولي ولو قطعت ارباً ارباً. ولا جثوت ولا تذللت ولا صفحاً طلبت .

عمرو بن هند : من اعزّ العرب يا فتى ؟

زهير : عمرو بن كلثوم .

عمرو بن هند : من اشعر العرب ؟

زهير : عمرو بن كلثوم .

عمرو بن هند : من اشرف العرب ؟

زهير : عمرو بن كلثوم اشرف العرب ، واعز الناس ، واشعر الانس والجن ، واكمل من اظلت السماء وحملت الارض .

عمرو بن هند : جئنا اليك تحملنا عاطفة الحلم فاذا انت تثير في ضلوعنا نار الغضب فان لم تكفّر تندم .

الحارث : فتى فيه نزق الشباب وحلم الملك اعظم .

عمرو بن هند : لا سبيل الى المدافعة عنه . دعونا وحدنا واخرجوا عنا .

المشهد الثامن

(عمرو بن هند – زهير)

عمرو بن هند : انت ، يا ابن عمرو ، بحضرة جبار العرب وملكها . فلقد اسخطتني بسوء تصرفك وقلة ادبك ، وما كان ابن هند ليصبر على ذلك لولا ان لابيك عندنا حرمة وعلينا عهداً وميثاقاً . امرت بسجنك لتأديبك فما زادك السجن الا قحة . فان اصررت على عنادك لقيت هواناً وحتفاً .

زهير : اما الهوان والذل فنفسي تأباهما ؛ وليس بيد الناس اذلال العزيز . ومن لا يذلل نفسه لا يذلل . واما حتفي فلك فيه ما شئت ان استطعت واردت احتفاظ سيد تغلب واغضاب قومه .

عمرو بن هند : املك العرب وجبارها ، سيد معد وغطريفها ؛ يحجم عن الامر رهبة . والله لو تجمعت امة التغلبين وتألبت على جحافل المغربين والمشرقين لما صدتني عن ورود موردي واتمام قصدي . انا قاهر الانس والجن . انا مرغم انف الدهر . انا رب الزمان والعصر . وانا معدن الشرف والفخر . من رضيت عنه عز وعاش . ومن سخطت عليه ذل ومات . بيدي الحياة والموت . ولي العز والجبروت .

زهير : بيد الله حياتنا . وموتنا بيد الله . لله خالقنا العز والجلال ولله ربنا الجبروت والسلطان .

عمرو : كل العرب عبيدي ومن يجسر ان يقف في وجهي ويقاوم كلمتي .

زهير : العرب عبيدك وانت عبد الله. يطيعك العرب ما اطعت الله وتبعت سنن العدل والشرف. والا قلبوا لك ظهر المجن فالعربي لا يقيم على الذل طويلاً .

عمرو بن هند : فتى سفيه يخاطبني بهذه القحة واتحمل. لقد فرغ صبري . ان لم تكفر عن جريرتك نالك هوان شنيع وموت فظيع . عفر جبينك بالتراب اجلالا لمهابتي. وخر ساجداً لعظمتي.

زهير : ربينا على النزاهة يا ابن هند ونحن مدى الدهور كما ربينا
الــه الخلق نعبده جميعــاً ولسنــا للخلائق عابدينــا

عمرو بن هند : تطأطئ رأسك طوعاً ام قهرًا .

زهير : لا يسجد وجهي لمخلوق حتى يزاح رأسي عن بدني .

عمرو بن هند : عفر جبينك يا متغرطس واسجد والا ......

زهير : (يرفع رأسه بكبر) بل ارفع رأسي الى السماء ولرب السماء اسجد .

عمرو بن هند : عفروا جبينه ايها الجنود (تتقدم الجنود) .

زهير : اليكم عني لا تذللوني رغماً .

عمرو بن هند : ان لم يعفر طوعاً عفروه قسرًا وذلا (تقترب الجنود) .

زهير : ابي! ابي! ذد عن شرف ولدك .

(يظهر عمرو بن كلثوم مستلاً سيفه يرجع الجنود الى الوراء)

عمرو بن كلثوم : وراءكم يا بني الانذال (شعرين) ....؟

عمرو بن هند : تنصب لي حبائل في سجني اخرجوا بنا . فلنخرج .

زهير : لله در ابي!

(تم الفصل الثاني)

الفصل الثالث

المشهد الاول

(الحارث بن حلزة وظليم ونكير)

ظليم : لله در عمرو ، ما اعز نفسه واشد اباءه وآنف انفته لم يأذن لابنه بالفرار من السجن وقد سنحت له الفرصة .

الحارث : لو كان بامكانك الاختيار وخيروك اما تود انه ابوك ؟

ظليم : افتراء افتريت علي. لو خيرت لما وددت ان يكون احد من الناس ابي ان لم يكن الحارث .

الحارث : وما فضل الحارث على سائر الناس ؟

ظليم : فضله انه ابي .

الحارث : وما فضلك وقد فضلك ابن عمرو اذ ابى ان يكون لك عليه جميل .

ظليم : اليوم يظهر فضلي ويشهر بين العرب ذكري .

الحارث : وما انت صانع ؟

ظليم : اني اخلص زهيراً من نقمة عمرو .

الحارث : ذلك اصعب عليك من رد امس الدابر وترجيع السهم الطائر وتوقيف القدر النافذ .

ظليم : اذا اجتمع في الفتى قوة الفهم وشدة العزم والحزم امسى لديه المستحيل ممكناً والمستصعب مستسهلاً .

الحارث : يسرني ان ارى فيك حمية الشباب وغيرة الاصحاب لكني لا ارى احداً بامكانه تخليص زهير سوى ابيه عمرو ولقد كان اصدر ابن هند امراً بقتله لو لم احذره وخيم العاقبة واعده بتكفير عمرو عن جريرة ابنه .

ظليم : وهل من جريرة على ولد ذاد عن حوض ابيه ودافع عن شرف قبيلته ؟ اذاً كنت انا مجرماً في عين الملك .

الحارث : كل ما لا يسر الملك جريرة في اعينهم. ثم ان زهيراً تطاول في الكلام .

ظليم : ان كان تطاول زهير وتحاول عن غير روية فلقد لامه ابوه وعفا عنه الملك وهل ترجع الملوك عن عفوها .

الحارث : ما الملوك والعظماء يا بني ، الا آلات بيد ذوي الاغراض تحركها وتثيرها كما تثير العواصف رمال الصحراء .

ظليم : اذن ما الحيلة لانقاذ زهير . حلفت بحياة ابي الحارث لاخلصه او اموت فداءه .

الحارث : لا حيلة الا بالتكفير .

ظليم : الا يرضي الملك بحياتي ويعفو عنه .

الحارث : لا يرضى الا بالكفارة .

ظليم : اذن يموت زهير فالسلام على الحياة .

الحارث : وما يدفعك الى هذا التفاني .

ظليم : خلوصُ حبي ،وصدق ودادي ،افلا يكون بين جميع الناس رجل واحد وفيٌ ، وصديق واحد صادق .

الحارث : سكن بالك يا بني ،اننا نعمل ما استطعنا على خلاص زهير . (يخاطب نكير) تذهب يا نكير الى عمرو وتقول له : يا سيد تغلب ان للحرث معك كلاماً ولا يستطيع الوصول اليك فان رايت ان تعجل بالحضور فان المقام حرج وزهير على قاب قوسين من الموت .

نكير : اني ذاهب اليه وابلغه كلام الحارث .

الحارث : وانا ابقى انتظر قدومه محدثاً نديم الملك خالداً ريثما يحضر فقد ضربت له وقت موعد .

نكير : لا اخرج من عندك حتى يدخل عليك النديم خالد فها انه داخل (يخرج نكير ويدخل خالد) .

المشهد الثاني

(الحارث وخالد وظليم)

خالد : سلام على سيد بكر .

الحارث : وعلى نديم الملك افضل السلام .

خالد : ضربت لي وقت موعد فلم ابطئ عليك فما الامر .

الحارث : عندك الامر وعند عمرو .

خالد : لا ينفك الملك مصرًا على عزمه ولقد زاد حنقه ما رآه من زهير واستخفافه. عبد يستخف بمولاه ويصبر، فما اعظم حلم الملك.

الحارث : يغضب الملك على ابن سيد العرب لكلمة فلتت منه فيهدده بالقتل ويرهبه بالحكم؟

خالد : عجباً لك يا حارث، تدافع عن ابن خصمك وقد اقر الملك لك بالاسبقية ولقومك بالافضلية.

الحارث : حكم الملك لي بالاسبقية ولآلي بالافضلية وانا مقدر له حكمه حق قدره وعارف له جزيل فضله. لكن اما كفاكم انقساماً يا بني عدنان، اكُل يوم ضغينة، وكل يوم عدوان، اما ترى ان قتل ابن عمرو يثير الخواطر ويهيج العواصف.

خالد : اترى ان يصفح الملك عن كل اساءة فاين تذهب بهيبته؟ والعربي ان ابنت له عن سن ضحوك استخف بك وازدراك، وان كشرت عن انيابك. استعظمك وهابك.

الحارث : كانك لا تدري ما هي عزة العرب. اتجهل ما نال المنذر جد عمرو لشدة وطأته على رعيته. فما بغى سيد على قومه، ولا طغى ملك على عباد الله، الا كان البغي وبالا عليه، والطغيان اذلالاً له. بغى نمرود فدخلت في انفه بعوضة وادمته واذاقته مر النكال حتى مات. طغى جالوت الطاغوت فسقط صريعاً بحجر من مقلاع داود. عز كليب فارداه جساس قتيلاً فوحقك يعز علي ان يحل بابن هند ما حل باولئك الطغاة اللئام وتحل عقدة الوفاق وينعق غراب الشقاق بين القبائل فلا يصبر عمرو بن كلثوم على قتل ولده وهو بري وليضرمن ناراً يدوم سعيرها مدى الدوران.

خالد : وما العمل وما التدبير؟

الحارث : انت تقنع عمرو بن هند بالاقلاع عن قصده مبيناً له سوء المغبة وانا احاول اقناع عمرو بن كلثوم بتلافي الشر.

خالد : لا سبيل الى اقناع ابن هند الا بتذلل عمرو بن كلثوم.

المشهد الثالث

(عمرو بن كلثوم – الحارث – خالد – ظليم – نكير – مرة)

(يدخل عمرو بن كلثوم مستلاً سيفه ويقول عند دخوله) :

مرو بن كلثوم : لا يتذلل عمرو بن كلثوم لبشر ؛ ولا يخضع الا لله خالقه (وعند لفظة خالقه ينكس سيفه ويحني رأسه اجلالاً واذا صفقوا له عند دخوله يقف عند قوله لا يتذلل عمرو بن كلثوم لبشر وبعد ذلك يكمل باجلال وعظمة قائلاً) : ولا يخضع الا لله خالقه .

لغير الله لا نحني رؤوساً ولا نخشى ملام اللائمينا
برانا الله احراراً كراماً ولسنا لغيره متذللينا
ورثنا المجد قد علمت معد نطاعن دونه حتى يبينا
وايام لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان ندينا
وسيد معشر قد توجوه بتاج الملك يحمي الملجئينا
تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة اعنتها صفونا

خالد : خفض بعض حميتك يا عمرو ولا تحاذر . فانك بين الاصحاب .

الحارث : بعثت اليك في امر زهير . لست الآن في موقف الخصم قد حسمت مسألة ولدك كل خصام فما انا اليوم الا صديقك القديم وجدت ولدك في ضيق فتقدمت اليك لتخلصه .

عمرو بن كلثوم : لا بأس على زهير وفي الاحياء ابوه عمرو .

بهيبتنا نرد الشر عنا وسطوتنا تصد الموعدينا
اذا ذكرت مآتينا لقوم حملناهم على ان يتقونا

الحارث : لا يتقي ابن هند رجلاً حين يغضب ، كائناً من كان . وقد حنق على زهير حنقاً اشد من حنق الكنة على حماتها حين تثار . وحنق رجل على امرأته حين يغار . ومن استشاطة البخيل على الخليقة حين يفقد الدينار . ومن اغتياظ المقامر على ربه حين يخسر ماله في القمار . ومن سخط العاشق على مزاحمه اذا فاز بالانتصار .

عمرو بن كلثوم : وما الداعي لهيجان بركانه وانفجار ثورته ؟
خالد : لانه لم يذعن لحكم الملك في تفضيل الحرث على عمرو وتقديم بكر على تغلب .
عمرو بن كلثوم : اذاً بلغ البغي بابن هند الى حد الهذيان او نزع به طبعه الى نزع نزعات الطبيعة من قلب الانسان .
خالد : ان في الملوك عزة فوق السوقة وسلطاناً يرفعهم عن الناس ومقاماً يسمو بهم الى ما فوق البشر .
عمرو بن كلثوم : اليس الملوك من جبلة آدم ليس الشرف في سمو المقام انما الشرف في علو الهمة وسمو الفعال وحسن الخصال وكم من صعلوك اعز نفساً من بعض الملوك وكم من ملك لا يحترم سنة الله وحقوق البشرية ليس له الحق على احترام الرعية وطاعة العباد .
الحارث : انما التقادير تقضي احياناً على الحكم ان يراعي احوال المكان والزمان .
عمرو بن كلثوم : وما علي ان اراعي .
الحارث : خاطر ابن هند .
عمرو بن كلثوم : كيف اراعي خاطره ولم يرعَ له حرمة ولا حفظ لي عهداً .
الحارث : من صانع وجامل سلم ولم يتندم .
خالد : اترى حيناً في ان تتصاغر متذللاً للملك متضرعاً فتنجي ولدك .
عمرو بن كلثوم : ان يسلم عرضي ويعطب ولدي اسلم لي ولا خير في خير نبذل له ماء وجهنا وما نجى شرف الاباء وحياة البنين غير الصارم البتار .
الحارث : هل من حاجة ان يتذلل من استرعى الملك واستعطف جانبه واستغفره عن ولده .
عمرو بن كلثوم : لا استرعي ولا استعطف ولا استغفر عن الحسنات .
خالد : لا تصعر خدك يا ابن عتاب لئلا يقوم .
عمرو بن كلثوم : تتهدد يا ابن الأ (يضع يده على قبضة سيفه) لولا حرمة الحرث لازحت رأسك عن بدنك .
خالد : شعرة مني برأس زهير .
عمرو بن كلثوم : شعرة من زهير برأس مولاك .

خالد : يقول لك الملك تقصر من غلوائك. وتخفض بعض خيلائك. وتنزع عنك بهتك الفارغ وكبرك الباطل. وتعفر جبينك بالتراب اجلالا لعظمته . والا صغرك وذللك انت وعقبك وكل عشيرتك .

عمرو بن كلثوم : امض وقل لمن ارسلك. قصرت يد بن هند عن اذلال ابن ليلى. ورب ربيعة ، البحر اذا هاج وماج. اسهل على ابن هند اسكان امواجه من اذلالنا. وايسر له ان يهمد البركان اذا فار فائره وثار ثائره من خفض شأننا وكسر شوكتنا . هل يستطيع ان يمنع الفلك الدوار من دورانه ويوقف الشمس عن مسيرها ويرجع المياه المنحدرة على الجبال على اعقابها. هل يستطيع ان يجعل النهار موضع الليل والليل موضع النهار ؟ اذن يستطيع ان يسومني خطة الخسف والهوان ويجلببني بجلباب المذلة والعار .

خالد : اني لمبلغه كلامك في الحال فاثبت له ان كنت شجاعاً .

الحارث : (على حده) اني خارج في اثره امنع عقاربه ان تدب على عمرو (عند خروجه) اتبعني يا ظليم .

ظليم : (على حده) نفسي تحدثني بحدوث امر جلل .

المشهد الرابع

(عمرو بن كلثوم – عبد المدان – المتلمس (نكير)

عمرو بن كلثوم : تخرج يا عبد المدان مع نكير الى تغلب وتهيّئ قومنا للحرب.

عبد المدان : وانت ماذا تصنع مكانك .

عمرو بن كلثوم : البث موضعي لئلا يقال فر عمرو بن ليلى من وجه عمرو بن هند .

عبد المدان : ليس هذا الرأي بل تذهب انت بنفسك تعد رجالك للقتال.

نكير : الرأي يا عمر والصواب بجانبه ابن هند غدار ان بقيت هنا غدر بك واوردك موارد الهلاك باغتيالك .

عمرو بن كلثوم : لا تشمت بالملك بحضرتي وان كان خصمي .

نكير : ابن هند غدار يا ابن ليلى .

عمرو بن كلثوم : صه يا رجل !

نكير : خائن ماكر مخادع باغ طاغ .

عمرو بن كلثوم : كفاك يا رجل فكف عن السباب .

نكير : لا اكف عن شتمه حتى اراه مضرجاً بدمه فقد غدر بي ولولا القدر لبعثني الى حيث القت رحلها ام قشعم .

عمرو بن كلثوم : من انت يا رجل .

نكير : (يكشف القناع) انظر فترى من انا .

عمرو بن كلثوم : جرير بن عبد المسيح المتلمس ؟ ...

نكير : جرير بن عبد المسيح المتلمس . الوقت حرج والزمان ثمين يا عمرو ولا يبلغ كلامك الى مسامع ابن هند حتى يعقد مجلساً يقضي فيه بالموت على زهير . فاني خبير بامره. عالم بطويته. ولقد سمعته يقول لخالد : ان لم يكفر الآب عن اثم ابنه اعظم تكفير ذلت الابن والاب ، وقتلت الواحد بعد الآخر . تعجل يا عمرو الى رجالك وتغدَّ ابن هند قبل ان يتعشاك . حبل حياة زهير موصول بدقيقة .

عبد المدان : هيا بنا يا عمرو فان الرجل صادق .

نكير : بالعجل الندامة وبالتأني السلامة .

عمرو بن كلثوم : لبيك لبيك يا زهير ، حياتي فداك. ورجالي لك. (يسحب سيفه) ومهندي في رقاب عداك . بل حياتي ورجالي ومالي وولدي لكم ايها العرب :

انزعي عنك برقع الحداد يا امة الاعراب . واخلعي عن عنقك نير الاستبداد يا امة الاحرار. لقد حان تحرير العباد. وباد زمان الاستبداد . تصلح الحرية للعرب. والعرب للحرية يصلحون . حرام على الطغاة يستعبدون ملوك الصحراء وابناء السماء ونسور الفلاء . خلوا الفضاء لفارس الزرقاء — ما ابهى البدوي حراً على ظهر جواده . بشماله العقال وبيمينه البتار. يطير على سابح في بحار من رمال احر من جمر النار. يباري في جريه الرياح ويسبق النسور والعقبان يطارد سباع البر ويداعب غزلان الغابات. حرام على المستبدين يستعبدون ملوك الصحراء . خلوا الفضاء لفارس الزرقاء . ما اسمى البدوي حراً في الليل . يمتد جسمه فوق الثرى وترتفع همته فوق الثريا ، يناجي البدر . ويسامر الكواكب الطوالع . فراشه على رمال

الصحراء وغطاؤه قبة السماء . يتلاعب بشعره النسيم ويبلل جسمه ندى الاسحار . ويطرب مسمعه حفيف الشجر وفحيح الحيات يهزه صليل السلاح وصهيل الخيل زئير الأسد وعواء الذئاب كما يعجبه شوارد الافكار في سكون الليل وتراكم الاحلام في سبات النوم . حرام على المستبدين يستعبدون ملوك الصحراء . خلّوا الفضاء لفارس الزرقاء . (يخرج) .

المشهد الخامس

(نكير وحده)

نكير : هذا هو العربي الحر الذي تأنف نفسه من الضيم وتستنكف من الذل . هذا معيد الحرية الى البلاد العربية .

المشهد السادس

(ظليم ونكير)

ظليم : (وهو داخل مسرعاً) قضي الامر لقد هلك زهير !

نكير : ماذا تقول يا فتى ؟

ظليم : ابن عمرو ابن عمرو .

نكير : لقد اذهلتني يا ظليم فهل مس دماغك الجن .

ظليم : عجل يا نكير وراء عمرو واخبره ان الملك يعقد في هذه الساعة مجلساً .

يحكم فيه على زهير ليشجبه . ها ان الملك آت مع حاشيته فعجل (يخرج نكير يدخل الملك مع حاشيته) .

المشهد السابع

(مشهد المحاكمة وحاشيته)

عمرو بن هند : بلغتكم سفاهة ابن عمرو . جاملنا الجاهل فما زاد الا جهلاً وحمقاً وجرأة . فما رأيكم فيه ؟

خالد : نظر الملك في العواقب ابعد ورأيه في الامور اصدق . الآ اني ارى ان يعاقب السفيه معاقبــة تنهى الجهال وتروع السفهاء .

الحارث : بئس رأيا رأيك فما عقلت وما عدلت. تغري الملك بابــن سيد العرب . الحلم في كل المواطن ارفع وانفع ايها الملك، والعفو عند المقدرة اكرم واعظم .

خالد : الحلم يجرئ العبيد على مواليهم .

الحارث : الظلم ينفر الشعب من الحكم .

خالد : ان عفا الملك ذهبت سطوته .

الحارث : اذا جار الحاكم تقلقلت حكومته .

عمرو بن هند : تحمي ابن خصمك يا حارث .

الحارث : بل احمي دولة الملك وامة العرب .

عمرو بن هند : ما على دولتي او امة العرب في قتل فتى احمق ؟ اليست لي الرقاب اختلبها بمخلب انتقامي

الحارث : لله ولاصحابها وليست للملوك الرقاب. اتق الله في عباده ابيت اللعن ولا تثر ثائر العامة. فالشعب رهيب في غضبه. ما الرياح العاصفات اذا ثارت تهدم وتخرب ما تلاقي على مهبها لا تبقي ولا تذر تنقض البيوت وتقلع الشجر. وما البراكين اذا فار فائرها والقت بحممها على المدن والقرى تدمرها وتلاشيها . وما البحار اذا هاجت وماجت بامواجها تغرّق السفن في لجها اشد ضرراً من الشعب عند تغيظه وحنقه — الشعب رهيب في حنقه .

عمرو بن هند : مثلي لا يتخوف الشعب ولا يرهب العامة . العامة جماعات عميان معتودين الى حبل يقودهم بصير يسيرون خلفه حيثما سار.

الحارث : ولعلّ ابن كلثوم ذلك البصير .

عمرو بن هند : الشعب غابة تردد صوت مغن يتغنّى في الليل وكهف يراجع هتاف هاتف وصراخ صارخ .

الحارث : وربما كان ابن ليلى الصارخ بهتاف الحرية .

عمرو بن هند : الشعب مطية يركبها فارس يشدّ بزمامها ويرخيه حسب هواه ويركضها على رضاه ...

الحارث : واذا جمحت المطية جنحت براكبها الى المهواة واردته صريعاً قتيلاً ....

عمرو بن هند : الشعب قطيع غنم لا عقل لها، يسوقها رجل واحد الى المسلخ فتساق . يصفر لها الراعي فتسمع . ويمشي امامها فتمشي وراءه لا تدري الى اين المسير .

الحارث : وما ادراك ان لا يكون الراعي كلثوم .

عمرو بن هند : العامة صبيان لا يعقلون تزمر لهم فيرقصون وترقص لهم فيصفقون

الحارث : افلا يكون الراقص عمراً ؟

عمرو بن هند : الشعب ظل الغالب وخيال المنتصر يجعلون الحق بجانب التوفيق كيفما مال السعد مالوا يخذلون اليوم من نصروا امس وينصرون غداً من خذلوا اليوم الشعب مع القوي الواقف على الضعيف الساقط .

الحارث : وربما قوي عمرو. وضعف. عمرو وقف عمرو. وقام عمرو.

عمرو بن هند : كفى يا حارث تخوفني وتتشائم فلا بد من ارهاب القوم باشد العقاب. لا يبلغ عمرو بن كلثوم مهما تطال الى اعلى من قدمي. فوالله لخنصري اغلظ من متنه وشمالي اجود من يمينه ولا خمصي اشرف من رأسه وخطأي اصدق من صوابه وصمتي ابلغ من كلامه وامي افضل من امه وخدمي خير من سراة قومه فوالله لو هززت بيدي عصاي مات من عصاني ولقد عرف الدهر بطشي فما عاداني . فما انا الا مقطب جبيني فترجف الجن في القطبين ولسوف تعلم الاقوام من افضل العمرين علي بزهير (يذهب جندي) .

الحارث : وما انت صانع .

عمرو بن هند : والله لاجعلنه عظة للمتعظين وعبرة للمعتبرين . الست انا السيد والعرب العبيد اصنع بهم ما اشاء واريد . ان حسن عندي امت. وان راق بعيني احييت. والله لاطأن بسنابك خيلي كل من لا يرى رأيي ويقول بقولي .

الحارث : على رسلك ايها الملك؛ ان للعز سكرات؛ كما ان للموت خمرات. وتلك السكرات يعقبها حسرات. اني عاهدت الله ونفسي ان لا اداهن في مشوره ولا اخادع في نصيحة . لا تبغ ايها الملك، فان البغي وخيم المرتع ولا تظلم فان الظلم سيء المنقلب

لا تثر الضغائن بقتل البري. ولا تنفر القلوب باذلال الرعية فان في صدور العرب حمية تغلي مراجلها تأنف من كل مستقبح وان تحت الرمضاء لجمراً اخف نفخ يضرمها واقل نسيم يسعرها وان في طيات الصدور عقارب وحيات. فبنو غسان واقفون لك بالمرصاد. يتوقعون الفرص للوثوب ويترقبون الساعة لادراك الثأر. وبنو تغلب لا يصبرون على قتل ابن سيدهم وهتك حرمتهم . لا تفرق كلمة العرب ايها الملك ولا تضعضع امرهم ارضاء لهواك. فان الهوى مطية من ركب متنها ينعطب. ولا تزعزع اركان الملك لهفوة صدرت عن فتى دينه الشرف وربه العز. فحلم الملك اوسع وعدله اعظم. وان كان لا بد من التكفير للمهابة الملوكانية فدونك الشيخ العاجز فقد جاوزت التسعين ولم يبقَ مني خير ينتظر. فاهدر دم الشيخ الفاني . واصفح عن الفتى الهمام . فيسلم عرضك من سهام ملام . وتصون امة العرب من الشقاق والهلاك . وان كنت غير كفوء لابن عمرو فهاك ابني العزيز فاطعن صدره واتق شر البغي وعاقبة الظلم .

ظليم : هاك صدري ايها الملك فاطعن نحري واسفك دمي واصفح عن زهير .

المشهد الثامن

(يدخل زهير بعظمة رافعاً رأسه وجندي)

خالد : طأطئ الرأس اجلالا لمهابة مليكك يا ابن عمرو، ولا تشمخ بانفك بحضرة العظماء .

زهير : اني اجلّ الملك العادل وازدري المملق السافل. ابجل عظماء الفعال والخصال . واستخف باذلاء الطباع وادنياء النفوس. طلبتني ايها الملك لتنصفني حقي ام ليشتمني العبد

عمرو بن هند : طلبتك للتكفير عن جريرتك .

زهير : ان كنت اسأت فاطلب الصفح .

عمرو بن هند : قل اني اسأت .

زهير : لم يسئ من حافظ على شرف ابيه، وحبيّي اسأت فما التكفير .

عمرو بن هند : ان تعفر جبينك على اقدام العبيد ثم تقتل قتل الانذال.
زهير : لا عفرت ولا كفرت ولا شرف كلثوم حقّرت .
عمرو بن هند : اني والله لأذلّلنّ عزك وعز ابيك واجعلنك مثلة في العرب انت وذويك .
زهير : اقتلني شر قتل ولا تمثل بي .
عمرو بن هند : تذلل اذلال العبيد وتموت موت الكلاب .
الحارث : رفقاً به ايها الملك .
عمرو بن هند : لا رأفة ولا رحمة . والله لاجعلن عزّ آل كلثوم موطئاً لاقدام العبيد .
زهير : قصرت عن ذلك كلّ ملوك الانس والجن .
عمرو بن هند : ايها الجنود — ذللوا السفيه واقتلوه .
ظليم : لا تذللوه ولا تقتلوه — مر ايها الملك انا اكفر .
عمرو بن هند : صه ايها الغرّ الجاهل .
ظليم : ذللني اقتلني ولا تمس عز زهير . ما اسمى الموت في سبيل اعز الناس .
عمرو بن هند : يذلل زهير ويقتل ثم تذلل بعده وتموت .
الحارث : ايها الملك .
عمرو بن هند : لا كلام بحضرتي، والله لا تركت عربياً رافع الرأس شامخ الانف . ذللوا زهيرًا ايها الجنود واقتلوه (يدخل عبد المدان)
عبد المدان : لا تذلل زهيراً ايها الملك فان اباه عمراً قادم في فرسان تغلب.
عمرو بن هند : ساق القدر اليّ عمرًا ليشهد مقتل ولده وتذليل نسله وتحقير آله . ايها الجنود عفروا جبينه اشنع تعفير ثم اقتلوه شر قتل.
عبد المدان : (يتقدم بينهم وبين زهير ويشهر سيفه) لا يذلل ابن سيد العرب وفيّ رمق .
ظليم : لا يذلل صديقي وفيّ حياة .
عمرو بن هند : ابعدوا السفيهين واقتلوا الاحمق (تحيط الجنود بزهير) .
زهير : يا لتغلب! يا لعمرو !!
عمرو بن هند : هتافك يذهب في الهواء فأبوك بعيد.ادعُ اباك وارفع صوتك جهراً، والله لاقتلن الوالد على جثة الولد .
نكير : لا تجزع يا زهير فان اباك داخل .
عمرو بن هند : (الى جهة الشمال) ايهــا الحرس العجل العجل ... (يردد

الصوت صداه خارجاً) ايها الجنود اقتلوا زهيراً قبل دخول عمرو (تتقدم الجنود شاهرة سلاحها) .

زهير : اليكم عني . يا لتغلب ! يا لعمرو !

عمرو بن كلثوم : (من خارج) يا لتغلب يا لزهير !

عمرو بن هند : (يستل سيفه) لا يقتل عمرو بن كلثوم الاّ عمرو بن هند.

عمرو بن كلثوم : (يدخل شاهراً سيفه وماسكا ترسه) يا لزهير يا لثارات العرب ! (يتقدم نحو عمرو بن هند) .

عمرو بن هند : (يستعد) اهكذا يتجرأ العبد على ربه — على الخائن !

عمرو بن كلثوم : على الظالم (يتعاركان لحظة بالقرب من الكوليس ثم عندما يصير عمرو بن هند داخل الكوليس يقول عمرو بن كلثوم كصوت الرعد) خذها جزاء بغيتك ايها الطاغي .

نكير : قُتل الباغي فافرحوا ايها الاحرار .

ابن سمار : طب نفساً في لحدك يا ابي سمار .

نكير : طب نفساً يا متلمس فقد اخذ لك بالثأر .

عمرو بن كلثوم : (يدخل عمرو بن كلثوم) .

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
الا لا يظلمن الناس ملك فبئس اليوم يوم الظالمينا

« تمت »

كتاب التجليات الالهية

تصنيف الشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي

تحقيق عثمان اسماعيل يحيى

عضو المركز القومي للابحاث العلمية في باريز
شعبة الحضارة الاسلامية

وقد اضيف الى نص « التجليات الالهية » :

١) « تعليقات ابن سودكين على كتاب التجليات »

٢) « كشف الغايات في شرح ما اكتنفت عليه التجليات »

٣) « ملحق تاريخي » يشتمل على نصوص متعلقة بنظرية التوحيد عند الاسلاميين من القرن الاول الهجري حتى القرن الثامن .

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

(مهداة الى قربان النور وسلمان القرب الطهور : د. ك.)

السلام عليك يا فاطمة الزهراء
يا ذات الطهر والنور والصفاء
السلام عليك يا أم الشهداء
يا ذات الحزن والصمت والبلاء

السلام عليك يا أم ابيها
وكهف بنيها
وسلوى ذويها
وسر الكعبة لطائفيها
وروح الروضة لزائريها
وبركة النار ومن فيها

السلام عليك يا شجرة الولاية
وركن الامامة والوصاية
ونهج الكرامة والرعاية
وعلم الساعة ورمز القيامة

السلام عليك يا تربة الجنان
ومادة رقائق الجنان
لذوي الايمان والعرفان
وروحانية القرآن
لاهل الذوق والبيان
وقرة العين وانس العيان.

ألهمي يا أماه يا حبيبة
فتاة العروبة في بعثها
•فتاة الاسلام في تحريرها
وفتاة البشرية في تكاملها
وكوني لهن جميعاً كما انت في نفسك
بسمة الرجاء في ملكوت السماء
ونجم الاهتداء للنور والمجد والعلاء
ومثال الاقتداء في الطهر والصبر والولاء

ألهمي يا اماه يا صدّيقة
فتى العروبة محو الظلم والظلمات
ألهميه اشاعة الحق والعدل والواجبات
ألهمي فتى الاسلام تحطيم القيود والاغلال
ألهميه الانطلاق الى عالم الخلد والمثال
ألهمي فتى البشرية معنى الود والسلام
ألهميه روح الاخاء والحب والوئام
وكوني لهم جميعاً كما انت في نفسك
مثل التضحية والفداء
ورمز العزم والمضاء
في الليلة الظلماء
تجاه العقبة الكأداء

سلام عليك يا فاطمة في الاولين
سلام عليك يا زهراء في الآخرين
سلام عليك يا صديقة في كل حين
سلام عليك ابد الآبدين . — آمين !

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة عامة

الآثار الصوفية التي نعدّها اليوم بقصد النشر ، كلها من مخلفات الشيخ محيي الدين[١] ابن عربي (العربي)[٢] واتباعه الاقربين . انها تنتظم كتاب «التجليات الالهيــة» للشيخ[٣] الاكبر نفسه، و «تعليقات ابن سودكين[٤]»

١) اسمه الكامل : ابو عبدالله، محمد بن علي بن محمد بن العربي ، الحاتمي الطائي ولد في ١٧ من رمضان ، سنة ٥٦٠ هـ (= ٢٨ /٧ /١١٦٥ م.) في مرسية ، وتوفي في ٢٦ من ربيع الثاني سنة ٦٣٨ (=١٦ /١١ /١٢٤٠ م.) بدمشق . — ترجمته والمصادر عنه في «معجم» المستشرق الكبير بروكلمان (G.A.L. I, 571, nº 23) وفي « الملحــق » (Supp. I, 790-791) ؛ — وفي مقدمة «فهرس مصنفات ابن عربي» نشر الاستاذ كوركيس عواد ، «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق» (مجلد : ٢٩ ، عدد : ٣ ، سنة ١٩٥٤) ؛ — وفي «*Histoire et classification de l'œuvre d'Ibn 'Arabī*» par Osman Yahya, Tome I, pp. 113-135 (Institut Français de Damas, 1964) (en abrégé: *l'œuvre d'Ibn 'Arabī*).

٢) «ابن العربي» هي التسمية الواردة عن المؤلف نفسه وعن اتباعه ومؤرخيه القدامى . «ولكن بدأ يعرف بابن عربي لدى اهل المشرق» للتفرقة بينه وبين الفقيه المالكي ، القاضي أبي بكر، محمد بن عبدالله الاشبيلي ، المعافري ، المتوفى عام ٥٤٦ هـ . انظر «نفح الطيب» للمقري (I, 567/82) (نقلاً عن : GAL. I, 571) ، في صدر ترجمتــه للشيخ الاكبر ؛ — وانظر ايضاً «ترجمة المؤلف» الملحقة بآخر كتاب «الفتوحات المكية» ، طبعة القاهرة سنة ١٣٢٩ هجريــة ؛ وايضاً : «ملحق بروكلمان» (Supp. I, 790) ، تعليق رقم ١ .

٣) بدأ انصار ابن عربي منذ عصر متأخر (ابتداء من اواسط القرن العاشر الهجري ، على ما يظهر) يطلقون على شيخهم لقب «الشيخ الأكبر» . وهذا لم يكن اعتباطاً : انه القرن الذي شيد فيه ضريحه العظيم — وبجواره المسجد الذي يحمل اسمه ايضاً — في صالحية دمشق ، بأمر السلطان العثماني سليم الأول ، بعد فتحه المدينة (سنة ٩٢٢ هجرية) ، انظر : «*Islamologie*» par F. M. Paria, p. 214 (Beyrouth, 1957-1963). ولعل هذا كان في نظر اتباعه بمثابة «رد اعتبار» لمقام الشيخ ، الذي درس قبره ، بل اصبح مرمى للقاذورات .

٤) هو الشيخ الزاهد ، ابو الطاهر ، شمس الدين اسماعيل بن سودكين (أو سودكين) بن عبدالله النوري . ولد بمصر سنة ٥٧٩ (او ٥٧٨ هـ) وتوفي بحلب سنة ٦٤٦ . — انظر ترجمته في «تكملة اكمال الاكمال في الانساب والاسماء والألقاب» لجمال الدين ابي حامد ، محمد بن علي المحمودي ، المعروف بابن الصابوني ، المتوفى سنة ٦٨٠ ، ص : ٧٣—٧٤ ، نشر الدكتور مصطفى جواد ، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧٧ /١٩٥٧ . وانظر ايضاً : «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» لعبد القادر بن محمد القرشي ، المتوفى سنة ٧٧٥ ، الجزء الأول ، ص : ١٥١ ، طبع «حيدرباد» سنة ١٣٣٢ ؛ — «شذرات الذهب من اخبار من ذهب» لابن العماد الحنبلي ، المتوفى سنة ١٠٨٩ ، نشر مكتبة القدس، القاهرة سنة ١٣٥٠ ؛ — (وانظر اخيراً الملاحظة الخاصة بابن سودكين في «كتاب شفاء السائل لتهذيب المسائل» لابن خلدون الشهير ، المتوفى سنة ٨٠٨ ، نشر الاستاذ الفاضل محمد بن تاويت الطنجي ، من مطبوعات جامعة انقرة ، رقم ٢٢ ، سنة ١٩٥٨ ، ص : ٥٩ ، تعليق : ٣ .

عليها ، و « كشف الغايات في شرح ما اكتنفت عليه التجليات » لمؤلف مجهول . فهي اذن — أعني هذه النصوص — تدور جميعاً حول كتاب « التجليات الالهية » متناً وشرحاً وتعليقاً .

« التجليات الالهية » و « التعليقات » عليها .

لا ادري حتى الآن تاريخ تأليف كتاب «التجليات»[١] على وجه التحديد، ولا المكان الذي حرر فيه ؛ ولا الظروف التي دعت الى انشائه . وكل ما لدينا من وثائق في هذا الصدد هي ثلاثة «سماعات»[٢] على الكتاب السالف الذكر « السماع » الأول بمدينة حلب سنة ٦٠٦ للهجرة[٣] ؛ و« السماعان » الآخران

---

١) بخصوص كتاب«التجليات الالهية»انظر : « *L'œuvre d'Ibn 'Arabī* », II, pp. 488-491.

٢) « السماعات » — مفردها « سماع » — أو « إجازات السماع » هي ، كما يرى الاستاذ المحقق صلاح الدين المنجد : « صورة من الصور التي عرفها (علماؤنا) القدامى عن « الشهادات العلمية » التي تمنح اليوم (في المعاهد والجامعات) » . انها في غاية الاهمية من ناحية تاريخ العلوم والآداب عند المسلمين الاوائل . — والفرق بين « السماعات » قديماً و« الشهادات العلمية » اليوم ، « ان الأولى شهادات فردية تثبت عند سماع كتاب واحد ، وان الثانية تمنح بمجموع من الدروس يقرأها الطالب » . — هذا ، ويجب « تمييز اجازة السماع من اجازة الاقراء . فبهذه ينص فيها على ان شيخاً قد أقرأ طالباً كتاباً ما فقط ؛ او ان طالباً قرأ على شيخ هذا الكتاب . اما في اجازة السماع فلا بد من سامعين غير القارئ » . — انظر هذا كله في : « اجازات السماع في المخطوطات القديمة » للدكتور صلاح الدين المنجد ، مجلة « معهد المخطوطات العربية » : المجلد الأول ، الجزء الثاني ، ص : ٢٣٢—٢٥١ (القاهرة سنة ١٩٥٥) . ويصرح الاستاذ المنجد في مقالته بقوله : « ولم ار فيما طالعت من مخطوطات اجازة سماع من القرن الثالث او الرابع ؛ ولكني رأيت اجازة قراءة من القرن الرابع» (المقال المتقدم، ص: ٢٣٢—٢٣٣) . — هذا، ويحسن الرجوع الى المصادر الآتية للالمام بهذا الموضوع الهام في الثقافة الاسلامية :

— H. Ritter, *Autographs in Turkish Libraries*, dans *Oriens* VI, 1953, 63-90.

— G. Vajda, *Quelques certificats de lecture dans les Manuscrits arabes de la B. N. de Paris*, dans *Arabica*, I, 3, 1954, 337-342.

— S. M. Stern, *Some manuscripts of Abul-'Alā' al-Ma'arrī*, dans *Oriens* VII, 1954, 322-347.

— G. Vajda, *Les certificats de lecture et de transmission dans les Mss. arabes dans la B. N. de Paris*, éd. *C.N.R.S.* 1957.

٣) نص السماع : « قرأ عليّ كتاب التجليات صاحبنا البرهان ابو محمد، عبدالله بن علي بن احمد الخولاني . وكتبه المصنف سنة ست وستماية بمدينة حلب » . — وهذا « السماع » مسجل على هذا الكتاب ، المحفوظ في مكتبة الاوقاف ببغداد ، رقم : ٨٢٧؛ (نقلاً عن « المستدرك » للأستاذ كوركيس عواد ، المنشور في « مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق » ، سنة ١٩٥٥ ، مجلد : ٣٠ عدد : ٢ ، كتاب رقم : ٣٥ ، تعليق رقم : ٩) .

بدمشق سنة ٦١٧ و ٦٢٧ —[١] هذا ، وقد صرح ابن عربي نفسه بذكر كتاب « التجليات الالهية »[٢] في « فهرس المصنفات » الذي وضعه بمدينة دمشق عام ٦٢٧ للهجرة ، استجابة لرغبة تلميذه ربيبه صدر الدين القونوي[٣] ؛ كما صرح بذكر الكتاب ايضاً في « اجازته للملك المظفر[٤] .... » عام ٦٣٢ في نفس المدينة .

اما « تعليقات ابن سودكين النوري على التجليات »[٥] فنحن على علم

---

١) سيأتي ذكر هذين السماعين فيما بعد : (الفقرة الخاصة بالاصول الخطية ، آخر هذه المقدمة).

٢) رقم كتاب « التجليات الالهية » في « فهرس المصنفات » : ١٨٢ . — وقد نشر هذا « الفهرس » الاستاذ الدكتور ابو العلا عفيفي في « مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية » (عدد ديسمبر ، مجلد : ٨ ، عام ١٩٥٤) ؛ كما نشره ايضاً الاستاذ كوركيس عواد في « مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق » (مجلد : ٢٩ ، عدد : ٤ ؛ عام ١٩٥٤ ؛ — مجلد : ٣٠ ، عدد : ١ ؛ عام ١٩٥٥) . انظر — تحليل « فهرس المصنفات » في « *L'œuvre d'Ibn 'Arabī* », I, pp. 39-47.

٣) صدر الدين ، ابو المعالي محمد بن اسحق بن محمد القونوي . من المع الشخصيات في عالم الفكر الاسلامي ، في الميدان الصوفي وفي الميدان الفلسفي على السواء . له تصانيف عديدة وهامة ، بالعربية والفارسية . لم يدرس حتى الآن ، ولم ينشر من تواليفه سوى تفسير الفاتحة . — ولادته في قونية عام ٦٠٧ ووفاته فيها ايضاً عام ٦٧٢ . ومكتبته الخاصة ، بما فيها مصنفاته ، لا يزال القسم الكبير منها محفوظاً في المكتبة الوطنية بمدينة قونية (مكتبة يوسف آغا ، بجوار الزاوية المولوية الكبرى) . وقد اتيح لنا زيارة هذه المكتبة والاستفادة من ذخائرها ، مراراً . — وترجمة صدر الدين القونوي والمراجع عنه وذكر تآليفه ، في معجم بروكلمان » وفي « الملحق على المعجم » : *G.A.L.* I, p. 588; *Supp.* I, p. 807.

٤) العنوان الكامل لهذه الاجازة : « اجازة الشيخ محي الدين بن العربي ... للملك المظفر ، بهاء الدين غازي بن الملك العادل ابي بكر ايوب » ؛ ورقم كتاب التجليات في هذه « الاجازة » : ٢٢٣ . — وقد نشرت هذه الاجازة ، بعناية الاستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي ، في مجلة « الاندلس » ، التي تصدر بمدريد ، عام ١٩٥٥ ، العدد الأول ، وصدرت بمقدمة باللغة الاسبانية بقلم الباحث الكبير الدكتور بدوي ، وعنوان الاجازة : « *Antobibliografia d'Ibn 'Arabī* », vol. XX, Fasc. I, pp. 107-128. هذا والملك المظفر هو المعروف بالملك الاشرف ، المتوفى بدمشق ، عام ٦٣٥ هـ . انظر وفيات الاعيان ... رقم ٧٢٠ ؛ وشذرات الذهب ... ٥/١٧٥–٧٦ .

وانظر ايضاً تحليل هذه « الاجازة » في : « *L'Œuvre d'Ibn 'Arabī* », I, pp. 48-55.

٥) عنوان هذا الكتاب كما ورد في معظم النسخ : « شرح التجليات للشيخ اسماعيل بن سودكين النوري » . — والواقع ، ان هذه « التعليقات » ليست من وضع ابن سودكين نفسه ، اعني ليست تأليفا له بالمعنى الصحيح . بل هي تلخيص لشرح ابن عربي على كتاب « التجليات » ، الذي اضطلع به بناء على طلب اتباعه ذلك ، اثناء وجوده في مدينة حلب عام ٦١٠ او ٦١١ (انظر آخر صدر « التعليقات » لابن سودكين) . — والنسخ الموجودة حالياً لهذا الكتاب هي : مخطوط مكتبة الفاتح (اسطنبول) رقم : ٥٣٢٢/١–٣٧ ؛ — مخطوطا فيينا ، رقم : ٣٨٩ ؛ ورقم : ١٩١١ ؛ — مخطوط مغنيسا (تركيا) ، رقم : ١١٩١/١٦٦–١٩٨ ؛ — مخطوط فيض الله (اسطنبول) ، رقم : ٢١١٩/١٢٥–١٧٣ ؛ — مخطوط برلين ، رقم : ١٢٣٠ ؛ — مخطوط

تام بها من حيث الزمان والمكان والمناسبة التاريخية . كما نحن على علم ايضاً بالشخصية الحقيقية لصاحب هذه « التعليقات » . فابن سودكين يذكر جميع ذلك في صدر كتابه . بل يضيف الى هذا كله فينص على اشياء من طبيعتها ان توضح لنا جوانب من تفكير الشيخ الاكبر ، وتلقي الضوء على بعض المشاكل التي يثيرها كتاب « التجليات الالهية » . فلنترك المجال هنا لابن سودكين يقص علينا نبأ هذا كله بأسلوبه الخاص :

« ... ولما وقف بعض من كنت اظنه خليلاً ... على هذا الكتاب المسمى بـ« التجليات » ... قال : اكاد اقسم بالله ان هذا ظلم وعدوان[1] ... وكان ذلك سنة عشرة وستماية بحلب . وكان شيخنا — رضي الله عنه ! — غائباً . ولما قدم بعد مدة اعلمته بما ذكر ذلك الخائب[2] . ولاعتنائي بالقضية قصدت تحقيق المسألة مع (سيدي) الشيخ ، مع ما عندي فيها من علم اليقين ...

جاراالله (اسطنبول) ، رقم : ١٠٩٢ /١٦١—٢٠٥ (والكتاب منسوب هنا خطأً الى صدر الدين القونوي) ؛ — وانظر ايضاً « معجم بروكلمان (G.A.L., I, 578/83-86) و« ملحق بروكلمان » (Supp. I, 788, 86) وانظر كذلك : « *L'Œuvre d'Ibn 'Arabī* », II, pp. 490-491 . — أما المراجع عن ابن سودكين فقد ذكر بعضها في التعليق المتقدم رقم : ٤ . — اما مؤلفاته المعروفة الآن فهي : ١) «شرح الفص الادريسي »، مخطوط مكتبة الفاتح ، رقم : ٥٣٢٢ /٢١٧—٢٢٦ ؛ — ٢) « شرح المشاهد القدسية » : مخطوط مكتبة الفاتح ، رقم : ٥٣٢٢ /٢٠١—٢١٤ ؛ — ٣)« كتاب النجاة من حجب الاشتباه » : مخطوط مكتبة الفاتح ، رقم ٥٣٢٢ /١٦٩—٢٠١ ، ومخطوط جامعة اسطنبول ، رقم : ٣١٨٤ / ٢٩٢ ... ؛ — ٤) « كتاب المسائل » ، مخطوط مكتبة ازميرلي اسماعيل حقّي (اسطنبول) : رقم : ٣٣٩٠ ؛ — ٥) « لواقح الانوار ولوامع الاسرار » ، جاء ذكره في « شرح صلاة ابن مشيش » لمصطفى البكري ، المسمى بـ« الروضات العرشية في الكلام على الصلاة المشيشية » ، مخطوط جامعة اسطنبول ، رقم : ٥٥٢ /٩١ .—

١) يريد بذلك موقف ابن عربي الخاص في كتاب « التجليات » في مسألة « التوحيد » ومخالفته بذلك معظم الصوفية المتقدمين —. وهذا العالم الحلبي لم يكن الوحيد في رده على « كتاب التجليات » . فابن تيمية لا يتحاشى عن وصمه بكتاب « التخيلات الشيطانية » (انظر كتاب : «القول المنبي عن ترجمة ابن العربي » : محمد بن عبد الرحمن ... السخاوي ، المتوفى عام ٩٠٢ للهجرة ؛ نسخة برلين ؛ رقم : ٢٨٤٩ /٥٩) . — هذا ، ويرى استاذنا المستشرق الكبير ، المأسوف عليه ، لويز ماسنيون ، ان نظرية التوحيد التي عرضها ابن عربي في « تجلياته » مبنية في اساسها على عدم التمييز بين الوحدة العددية (Unité arithmétique) والوحدة الذاتية (Unité ontologique) ؛ انظر : « *Recueil de textes inédits*, Paris 1929, p. 189, note n° 2. .

٢) في مثل هذا الزمان تقريباً ، ولمثل هذه المناسبة ، اعني لاعتراض بعض علماء مدينة حلب على ديوانه « ترجمان الاشواق » ،— بدأ الشيخ الاكبر في وضع شرح لديوانه المذكور ، بناء على طلب ابن سودكين وبدر بن عبدالله الحبشي . وسمّي ذلك الشرح : « ذخائر الأعلاق » . بدأ فيه بحلب وأتمه بعد ذلك بمكة . انظر تفصيل هذا في آخر الديوان ، نشر الاستاذ نيكلسون ، لندن ، الجمعية الملكية الاسيوية ، عام ١٩١١ ، ص : ٤٦—٤٧ .

« فقلت : يا سيدي ! قد ثبت عند العارفين ان الانسان انموذج صغير من العالم الكبير[١] . وان لكل موجود من الممكنات ، في نسخة وجود العبد ، رقيقة[٢] منبعثة عن اصل هو لها حقيقة[٣] . فاذا اخذ صاحب الجمعية[٤]

---

١) الانسان «عالم» او « انموذج صغير» ، وهو صورة مصغرة من الكون بأسره الذي هو « عالم كبير » : هذه فكرة ذات أصل يوناني ، نفذت الى الأوساط الاسلامية بوساطة « اخوان الصفا » (انظر رسائل اخوان الصفا ، الجزء الثالث ، الصفحة ٣١) . والواقع ، ان هاتين اللفظتين : « عالم صغير » و « عالم كبير » ، هما الترجمتان الحرفيتان لكلمتي μακρός (= كبير) κόσμος (= عالم) وكلمتي μικρός (= صغير) κόσμος (= عالم) . — ويرى بعض المؤرخين ان الفكرة اول ما ظهرت في التراث الاغريقي عند علماء الفلك والطب ، كنظرية علمية ؛ ثم انتقلت الى اوساط الفلسفة الافلاطونية الجديدة (لا سيما المتأخرين منهم كـ Preclus ، حيث احتلت لديهم دوراً كبيراً شبيهاً بنفس الدور الذي احتله في التصوف الاسلامي والفلسفة الاشراقية. — بخصوص نفوذ الفكرة الى الاوساط الفلسفية الاسلامية عن طريق « رسائل اخوان الصفاء » ، انظر : « تاريخ الاصطلاحات الفلسفية » لماسينون (مخطوط) ص : ٣٣–٣٥ ؛ وبخصوص انتشارها في فلسفة العصور الوسطى المسيحية ، انظر :

« *Vocabulaire technique et critique de la philosophie* », par A. LALANDE, Presses Universitaires, Paris, 1956, article: *Macrocosme*.

٢) « الرقيقة » في اصطلاح الصوفية المتأخرين : « هي الواسطة اللطيفة الرابطة بين شيئين » . ويميز الصوفية بين أنواع من « الرقائق » : فهناك ما يسمى برقيقة الامداد ، ورقيقة النزول ، ورقيقة العروج ، ورقيقة الارتقاء ، ورقيقة المناسبة ... الخ . انظر « كتاب لطائف الاعلام » ، مخطوط جامعة اسطنبول ، رقم : ٢٣٥٥ /٨٥ . — اما « الرقائق » (حال استعمالها بالجمع) فهي « علوم السلوك ؛ وتسمى ايضاً بالطريقة . وسميت الطريقة بالرقائق من جهة انها ترقق كثافة العبد فيرتقي بذلك الى مرتبة أهل الصفاء » (نفس المصدر المتقدم ، ورقة : ٨٥) .

٣) هذا « الاصل » ، الذي « هو حقيقة كل رقيقة » ، هو « الوحدة » ، اذ لا تعين قبلها ؛ ويسمى هذا الاصل عندئذ : « اصل الحقايق » . وهناك ايضاً ما يسمى : « اصل انتشاء الحقائق » ؛ وهو : « حقيقة الوحدة باطنها ، الذي هو عين « حقيقة الحقايق » ، في المرتبة الأولى بظاهرها ، الذي هو « البرزخية الثانية في المرتبة الثانية » ؛ التي هي « مرتبة الالوهية » ... (انظر : «لطايف الاعلام» ، مخطوط جامعة اسطنبول ، رقم ٢٣٥٥ /٢١ ا –٢١ب) .

٤) « صاحب الجمعية » هنا هو « صاحب الهمة » . و« الهمة » ، كما يرى مؤلف « لطائف الاعلام » : « هي المنزل العاشر من « منازل الادوية » ... وهي التي تبعث السر على السير في « منازل المحبة » ... وتطلق الهمة بازاء جمع القلب لصفاء الالهام . وتطلق : بازاء تجريد القلب للمنى . وقد تطلق : بازاء اول صدق المريد . وتطلق : بازاء تعلق القلب بطلب الحق تعلقاً صرفاً ... » (مخطوط جامعة اسطنبول ، رقم : ٢٣٥٥ /١٧٣ب–١٧٤ا) . انظر تحليل هذه الفكرة عند ابن عربي :

« *L'Imagination créatrice dans le Soufisme d'Ibn 'Arabī* », par H. CORBIN, pp. 165 ss. (éd. Flammarion, Paris 1958); — « *Terre céleste et Corps de résurrection* », par H. CORBIN, pp. 248, 360 (éd. Buchet/Chastel, Paris 1961.

وانظر : « فصوص الحكم» لابن عربي وتعليقات الاستاذ الكبير الدكتور ابو العلا عفيفي عليها (راجع : فهرس الموضوعات والمصطلحات ، مادة : مقام الجمعية ؛ الهمة ، جمعية الهمة) مطبعة : عيسى البابي الحلبي ، القاهرة سنة ١٩٤٦ (في جزئين بمجلد واحد) .

يقبل على رقيقة ما من رقائق نفسه ، فانها تَتَرَوْحَن بذلك التوجه الخاص ، حتى تكون مدركة لحسه .

« فاذا اخذ المحيي لتلك الرقيقة يناظرها في حقيقة الاهية او مسألة علمية ، كما جرى لسيدي (الشيخ) مع من اجتمع بهم في كشفه[١] ... ، أو ليس من المقطوع به ان الذي قامت به تلك الرقائق هو لها الاصل الكلي ، وهي له الفرع الجزئي ؟ ... فليس لها ، مما تجيبه به ، مدد إلاّ من إلقائه اليها ؛ ولا حياة إلاّ من اقباله الخاص عليها . فهي ، لهذا الارتباط ، فيما تجيب به ، مقهورة ... فكيف يقتضي الانصاف ان يحكم بما ظهر من هذه الرقيقة الجزئية المؤتقة على من هولها حقيقة كلية مطلقة ؟ وكيف يقطع على حقائقهم بما حكمنا به على ما قام في نُسخة وجودنا من رقائقهم ؟

« ومعلوم ايضاً ، ان لنـا في وجود كل انسان منهم ومن غيرهم رقائق روحانية[٢] ، وان لها عليهم سلطنة وربانية . وحكمهم على ما قام بهم مـن رقائقنا كما هو الامر عند (نا) فيما حكمنا به عليهم بحقائقنا . فهم يناقضوننا في الأحكام . ويبقى الامر موقوفاً على نظر المحقق العلاّم . وقد اقر المنصفون من اهل هذا الطريق ان سيدي الامام ... عمدة لاهل التحقيق ...

« فلما سمع شيخنا ــ قدس الله روحه ! ــ مني هذا الخطاب أعجبه وقال : والله ما قصرت ولقد اتيت بالصواب[٣] . لكن يا ولدي انما الشأن كله في معرفة

---

١) يقول الشيخ صدر الدين القونوي ؛ « كان شيخنا ابن العربي متمكناً من الاجتماع بروح من شاء من الانبياء والأولياء الماضين على ثلاثة انحاء : ان شاء الله استنزل روحانية من في هذا العالم وادركه متجسداً في صورة مثالية ... وان شاء الله احضره في نومه ، وان شاء انسلخ عن هيكله » ؛ « شذرات الذهب » ، نشر نيكلسون ، الجمعية الملكية الاسيوية ، مجلد : ٢٥ ، عدد اكتوبر سنة ١٩٠٦ ، ص : ٨١٦ .

٢) هذا الرأي الصوفي الخاص بـ « الرقائق الروحانية » شبيه جداً بقول الشيعة في « النور المحمدي » انه في مستوى الوجود ، اصل كل كائن سماوي او ارضي ؛ وفي مستوى العلم هو اصل المعارف الغيبية التي يستمدها عنه جميع الانبياء والورثة . انظر تفصيل ذلك في مقالة الاستاذ الكبير لويز ماسينون في « موسوعة الاسلام » ، النص الفرنسي ، المجلد الثالث ، ص : ١٠٢٧–١٠٢٨ ، مقالة : « نور محمدي : *Nūr Muḥammadī* » .

٣) يذكر ابن عربي في «الفتوحات المكية» ، انه استفاد من ابن سودكين بعض المسائل الالهية (الفتوحات ٢ المجلد الثاني ص : ٦٨١–٦٨٢ ، ط . القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ) . ــ كما انه استجابة لسؤاله ، وضع رسالته المسماة : « اعلى المراتب والاحوال التي تنتهي اليها همم الرجال » ، انظر : « مجموعة رسائل ابن العربي » ، المجلد الأول ، الرسالة رقم : ١٤ . ط . حيدرباد سنة ١٣٦٧ هـ .

أحكام المواطن والحضرات ، وفي التحقيق بذلك تتفاوت مراتب اهل الولايات . والذي حررته : يا ولدي ، في امر الرقائق الجزئية ، القائمة بالحقائق الانسانية ، وكون الحكم (فيها) انما هو للكلي على الجزئي ، — فهذا حق في موطنه الخاص به وهو الحضرة النفسية[1] وما يعطيه حكم النشأة الجامعة الانسانية .

« والذي ذكرناه في « كتاب التجليات » مما جرى بيننا وبين اسرار القوم ، انما كان في حضرة[2] حقية ومشاهدة[3] قدسية ؛ تجرد[4] فيها سري وسرهم من كوشفت به في حضرة الحق ، التي لا تقبل إلا مجرد التحقيق والصدق . ولو قدرنا اجتماعنا معهم في عالم الحس بالاجساد لما نقص الامر عما اخبرت به عنهم ولا زاد . والمعاملة ، يا ولدي ، مع ﴿القائم على كل نفس بما كسبت﴾[5] فيما يعمل او يقال . وهو — سبحانه ! — « عند لسان كل قائل »[6] عدل او مال .

« وقد اوضحنا السر في ذلك في « الفتح المكي والالقاء القدسي »[7] ،

---

١) « الحضرة النفسية » استعملت هنا في مقابل « الحضرة الحقية » و « المشاهدة القدسية ». وهي حالة الانسان الذي لا يزال في مستوى نفسه البشرية من حيث انفعالاتها وقيودها . فالانسان في هذه الحالة لم يرق بعد الى « مستوى القلب » ، الذي هو « عرش الرحمن » و « مجلي انواره » ولا الى « مستوى السرّ » الذي هو « مركز الاتحاد » الفائق بين الخالق والمخلوق .

٢) « الحضرة الحقية » هي حضرة القلب الذي هو عرش الرب ومجلي انواره ومستودع اسراره . فهي حضرة لا تدنسها حظوظ النفس البشرية ولا تنالها وساوس الشيطان ، ومن ثم كانت محفوظة عن الخطأ او الشك .

٣) « المشاهدة القدسية » هي المشاهدة المقدسة عن حظوظ النفس وخوالج الشيطان : انها مشاهدة صافية ، منزهة ، سامية .

٤) التجرّد او التجريد هو في عرف الصوفية ، « اماطة السوى والكون عن السر والقلب » (لطائف الاعلام ، مخطوط جامعة اسطنبول ، رقم : ٢٣٥٥ /١٤٣) . و « تجريد السر » من جانب العبد ، يقابل « لطف التجلي » من جانب الرب : اي انه مجهود يقوم به المرء ، عند تجلي انوار الحق عليه ، ليبعد عن طبيعة هذا التجلي كل ضرب من التحديد او اللبس او الاشتباه : فيبقى التجلي على صفائه بقدر تجرد القلب عن غشائه .

٥) اشارة الى الآية الكريمة ، رقم : ٣٣ من سورة الرعد (رقم : ١٣) . —

٦) جزء من حديث تتمته : « ان الله عند لسان كل قائل : فليتق امرء علم ما يقول » . وهو مروي في كتاب آفات اللسان ، (الكتاب الرابع من ربع المهلكات ، من كتاب احياء علوم الدين للامام الغزالي : فصل : « بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت » . — ولم يخرّج هذا الحديث الشيخ عبد الرحيم بن الحسين العراقي (المتوفى عام ٨٠٦ هـ.) في كتابه « المغني عن حمل الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الأخبار » .

٧) هذا عنوان جديد لكتاب « الفتوحات المكية » الشهير ؛ — بخصوص العناوين المتعددة لهذا الكتاب ، انظر : *l'Œuvre d'Ibn 'Arabî*, I, p. 201. ولم يذكر هذا العنوان الجديد هناك .

في (باب) « معرفة منزل القطب والامامين »[1] بغير شك ولا مين . وذلك ان السنة الالهية جرت في القطب[2] اذا ولي المقام ، ان يقام في مجلس من مجالس القربة[3] والتمكين ؛ وينصب له تخت عظيم لو نظر الخلق الى بهائه لطاشت عقولهم ، — فيقعد عليه . ويقف الامامان[4] ، اللذان قد جعلهما الله له ، بين

---

١) انظر « الفتوحات المكية ... » الباب : ٢٧٠ (المجلد الثاني ، ص : ٥٧٠–٥٧٤ ؛ من طبعة القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ .)

٢) « القطب هو عبارة عن الواحـد الذي هو موضع نظر الله من العالم ، في كل زمان . وهو على قلب اسرافيل » (لطائف الاعلام ، مخطوط جامعة اسطنبول ، رقم ٢٣٥٥ ١٤١ا ؛ وانظر ايضاً « اصطلاحات الصوفية » للقاشاني وابن عربي (المادة نفسها) و« رشح الزلال في شرح الالفاظ المتداولة بين ارباب الاذواق والاحوال » مخطوط مكتبة باريز الوطنية ، رقم ٤٨٠١ / ١٠١ب . —

٣) يقول ابن عربي في آخر كتابه : « كتاب القربة » (ط. حيدرباد ، الجزء الاول ، الرسالة السادسة ، ص : ٩) : « ... وكنت ما رأيت احداً من اصحابنا نبه عليه (= على « مقام القربة ») ولا ندب اليه . بل منع ذلك اكثرهم لعدم الذوق . فبقيت به وحيداً ... لا استطيع أفوه به من أجل منكريه . إلى ان وقفت لابن عبد الرحمن السلمي في بعض كتبه عليه نصاً وسماه : « مقام القربة » ... » . — ويقول ايضاً ، في آخر الباب ١٦١ من ابواب « الفتوحات المكية » ، الذي عنوانه : « في المقام الذي بين الصديقية والنبوة وهو مقام القربة » : « ... وقد انكر ابو حامد الغزالي هذا المقام ، وقال : ليس بين الصديقية والنبوة مقام . ومن تخطى رقاب الصديقين وقع في النبوة : والنبوة باب مغلق » . إلا ان الشيخ الأكبر يدفع هذا الاعتراض بقوله : « ومع هذا ، لا يبعد ان يخص الله المفضول بعلم ليس عند الفاضل . ولا يدل تميزه عنه انه بذلك العلم افضل منه ... » . — وقبل ذلك . في هذا الباب نفسه ، يروي لنا ابن عربي قصته في هذا المقام : « هذا المقام (= مقام القربة) دخلته في شهر محرم ، سنة سبع وتسعين وخمساية ؛ وانا مسافر ، بمنزل ايجيل (الصواب : أيجيل) ، ببلاد المغرب . فتهت فيه فرحاً . ولم اجد فيه احداً ، فاستوحشت من الوحدة ... ولما دخلت هذا المقام وانفردت به علمت (الاصل : وعلمت) انه ان ظهر علي فيه احد انكرني . فبقيت اتتبع زواياه ومخادعه ولا ادري ما اسمه ... فرحلت وانا على تلك الحال من الاستيحاش بالانفراد ... فلقيت رجلاً من الرجال بمنزل يسمى آنحال . فصليت العصر في جامعه . فجاء الأمير ابو يحيي بن واجتن (او يجاتن) . وكان صديقي . وفرح بي . وسألني ان انزل عنده فابيت . ونزلت عند كاتبه . وكانت بيني وبينه مؤانسة . فشكوت اليه ما انا فيه من انفرادي بمقام انا مسرور به فبينما هو يؤانسني اذ لاح لي ظل شخص . فنهضت من فراشي اليه ... فتأملته : فاذا به ابو عبد الرحمن السلمي ... » (الفتوحات ، مجلدة ٢ /٢٦١ ، ط. القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ.) .

٤) هما شخصان : احدهما عن يمين القطب ، ونظره في (عالم) الملكوت ، واسمه « عبد الرب » ؛ والآخر عن يساره ، ونظره في (عالم) الملك ، واسمه « عبد الملك » ؛ وهو أعلى من صاحبه ؛ وهو الذي يخلف القطب » (لطائف الاعلام ، مخطوط جامعة اسطنبول ، رقم ٢٣٥٥ /٢١ب ؛ وانظر ايضاً : « اصطلاحات الصوفية » للقاشاني وابن عربي : نفس المادة ؛ و« رشح الزلال في شرح الالفاظ المتداولة بين ارباب الاذواق والاحوال » ، مخطوط مكتبة باريز الوطنية ، رقم : ٤٨٠١– / ١٠١ب) .

يديه . ويمد القطب يده للمبايعة الالهيه والاستخلاف . وتؤمر الارواح ، من الملائكة والجن والبشر ، بمبايعته واحداً بعد واحد : « فانه جل جناب الحق ان يكون مصدراً لكل وارد ، وان يرد عليه إلا واحد بعد واحد »[١] .

« وكل روح يبايعه في ذلك المقام يسأل القطب عن مسألة من المسائل . فيجيبه (القطب) امام الحاضرين ليعرفوا منزلته من العلم . فيعرفون في ذلك الوقت أيّ اسم الهي يختص به . ولا يبايعه إلا الارواح المطهرة المقربة ؛ ولا يسأله من الارواح المبايعة ، من الملائكة والجن والبشر ، إلا ارواحُ الاقطاب الذين درجوا خاصة . — وهكذا حال كل قطب مُبايَع[٢] ... » .

الى هنا ينتهي جواب ابن عربي عن سؤال تلميذه له بخصوص الحقيقة التاريخية للقائه بمن تقدمه من كبار الصوفيــة في المشرق ، وحواره معهم . ثم يستطرد الشيخ اسماعيل بن سَودكين النوري فيذكر ما يأتي في نهاية مقدمته :

« ... ولما تحققت في ذلك باليقين ، وشرح الله صدري بنوره المبين ؛ حسّن الله عندي سؤالي في شرح هذا الكتاب ... فرغبت الى شيخنا ... في شرح هذا العلم الذي هو « كهيئة المكنون »[٣] . فمنّ عليّ بشرحه ، وقلدني

---

١) النص لابن سينا في كتاب « الاشارات والتنبيهات » ، الجملة الاخيرة من « مقامات العارفين » (ص : ٢٠٧ ، نشر (Forget) .— والفكرة التي يحتويها نص « الاشارات ... » ويقول بها ابن عربي ايضاً ؛ هي من اسس نظرية الشيعة في ضرورة بعثة الانبياء ووجود الأئمة . انظـر تفصيل ذلك في : « *De la philosophie prophétique en Islam shi'ite* », par Henry Corbin, in *Eranos Jahrbuch*, XXXI/1962, pp. 57-66. — « *Histoire de la philosophie islamique* », par Ibid, Tome I pp. 62-109; 132-136; 142-149; in Gallimard, Paris 1964.

أما من وجهة النظر الصوفية في الموضوع فيراجع : « مقدمة شرح التائية الكبرى » لداود القيصري ، فصل « طريق الوصول الى اصل الاصول » . —

٢) مخطوط مكتبة الفاتح ، رقم ٥٣٢٢ / ١ب — ٢ب . — وابن عربي في كتابه « الفتوحات المكية » (المجلد الثاني : ص : ٥٧٢ ، ٥٧٣ ؛ ط. القاهرة سنة ١٣٢٩) يذكر ، ما يحكيه عنه ابن سودكين في هذا الموطن بعينه . وينص هناك على انه قد خصص لهذه المسألة كتابين ؛ الأول بعنوان : « مبايعة القطب في حضرة القرب » (ص ٥٧١—٥٧٢) ؛ والثاني بعنوان : « كتاب معرفة القطب والامامين » (ص ٥٧٣) . — بخصوص الكتاب الأول ، يراجع : « *L'Œuvre d'Ibn 'Arabī* », R.g. n° 487. وبخصوص الكتاب الثـاني ، نفس المرجع : R. g. n° 585 وهذا الكتاب ، على ما يظهر ، هو عنوان جديد لكتاب « القطب والامامين » وهو لم يذكر في المرجع السابق ...

٣) اشارة الى حديث : « ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا اهل المعرفة بالله تعالى ! — فاذا نطقوا به لم يجهله إلا اهل الاغترار بالله — تعالى ! — ... » وهذا الحديث عند الصوفية من المصادر السمعية في اثبات « علم المكاشفات » . — انظر تفصيل ذلك في « احياء علوم الدين » للامام الغزالي ، المجلد الأول ، ص : ١٩—٢١ ، نشر المكتبة التجارية بالقاهرة ، من غير تاريخ . —

جواهر فتحه . فلما حصلت في حرزي ، وكانت من اعز ما في كنزي ، احببت ان تكمل بالانفاق ، عملاً على وصية الخلاق[١] ... »

فبناءً على هذا النص ، لا تكون في الحقيقة «تعليقات ابن سودكين على التجليات » سوى « تقييدات » لشرح الشيخ الاكبر نفسه على كتابه بالذات. من اجل هذا كانت هذه « التعليقات » بمثابة جزء متمم « للتجليات الالهية » ، نابعة من عين مصدرها الاول .

كتاب كشف الغايات :

اذا كانت ساعدتنا الظروف بمعرفة صاحب « التجليات » و « التعليقات » عليها ، فانا على جهل تام بمؤلف « كشف الغايات في شرح ما اكتنفت عليه التجليات » ، وبزمان انشائه ومكانه والظروف التي دعت اليه ... ان النسخة الوحيدة التي نملكها في الوقت الحاضر ، وهي محفوظة في القسم الشرقي بدار الكتب الوطنية في باريز[٢] ، غفل عن اسم مؤلفها ؛ كما انه لا يوجد في ثنايا الكتاب نفسه أية دلالة تكشف عن شخصية المصنف او تومئ اليه .

بيد ان المستشرق المعروف ، المأسوف عليه بروكلمان ، في «ذيل معجمه»[٣] الشهير للآداب العربية ، يذكر عنوان مخطوط موجود في خزانة «رامبور»[٤] ، يقرب جداً من نظيره في خزانة باريز : « كشف الغايات شرح التجليات » ، ويعزوه الى الصوفي الشيخ عبد الكريم الجيلي ، المتوفى عام ٨٢٠ او ٨٣٢ للهجرة . ويتساءل بروكلمان[٥] فيما اذا كانت نسخة « رامبور » بمثابة شرح لكتاب « التجليات الالهية » لابن عربي أم لا ؟ ونحن لم يتيسر لنا الاطلاع على هذا المخطوط لنقابله على نسخة خزانة باريز فنكون على بينة من الأمر .

ومهما يكن من شيء ، فان مخطوط « كشف الغايات في شرح ما اكتنفت عليه التجليات » ، المحفوظ في « دار الكتب الوطنية بباريز » ، يوجد ضمن مجموعة تحتوي على اثني عشر كتاباً ورسالة . وهي كلها على ما يبدو ، بالرغم من اختلاف موضوعاتها ، ذات نسق واحد في التفكير والنزعة والاسلوب . وهذه

١) مخطوط مكتبة الفاتح ، رقم ٥٣٢٢ ، ٢/ب .
٢) تحت رقم : ٦٨٠١ / ١-١٩٦ا .
٣) G.A.L., Suppl. II, 284, 26.
٤) Rāmpur I, 362, 281 b.
٥) G.A.L., Suppl. II, 284, 26.

الخصائص اذا تحققت في مجموعة ما من شأنها ان تدل على وحدة التأليف . وجميع هذه المخطوطات لم يذكر فيها اسم مصنفها او مصنفيها ... ونظراً لاهمية هذه المجموعة الخطية النادرة في التراث الصوفي ، ولكونها لم تذكر في « معجم بروكلمان » ، — فقد آثرنا سرد عناوينها في هذا المقام . مع ذكر بداية كل كتاب ونهايته .

مجموعة باريز الخطية رقم ٤٨٠١

١) « **كشف الغايات في شرح ما اكتنفت عليه التجليات** »[1] . — البداية : « الحمد الذي رفع طلاسم الغيوب بتجلياته ... » . — النهاية : « ... ولا تحرمنا من ذلك لسوء ما عندنا ... وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه . »

٢) « **رشح الزلال في شرح الالفاظ المتداولة بين ارباب الاذواق والاحوال**[2] . » البداية : « الحمد لله الذي اجرى على السنة اهله لغة يخاطبون بها الأهل . وارسل على ارض استعدادهم مدرار الحكم تترى فأزال عنها بذلك أثر المحل .. » — النهاية : « هذا آخر الكلام فيما قصدنا ايراده ... ولا منع عن العبد الجاني على نفسه خير ما عنده بهفواته ... وصلى الله على سيدنا محمد الظاهر بالسيادة العظمى في العالم ونشآته ، وعلى آله وصحبه وورثته ... » .

٣) « **نخبة الرغايب للمذاهب والايب** »[3] . — البداية : « الحمد لله الذي كشف على بصاير القلوب ما أضمر في بطاين الغيوب . واودع لها في أنفاس الدهور رواتب المنح ورغايب الستور ... » . — النهاية : « نجز ما سأله السائل

---

١) عنوان الكتاب الاول ، ورقم المجموعة ، كما تقدم : ٤٨٠١ /١ا–١٩٦ا .

٢) عنوان الكتاب الثاني ، ورقم المجموعة ، كما تقدم : ٤٨٠١–/١٩٩ا—١٢٥ب . — وهو شرح مطول لاصطلاحات الصوفية لابن عربي ، المطبوع في « مجموع رسائل ابن العربي » ، المجلد الثاني ، الرسالة الأخيرة (حيدرباد سنة ١٣٦٧) .

٣) عنوان الكتاب الثالث من المجموعة ، ورقاته : ١٢٦ب—١٢٨ب . — في هذه الرسالة (ورقة ١٢٦ب ، في آخرها) يذكر المؤلف كتاباً له بعنوان : « كتاب رونق الامعان في كشف ما حوت عليه فواتح سور القرآن » . وهو كتاب نفيس في اسرار الحروف القرآنية ، الموجودة في « فواتح السور » . وله نسخة يتيمة ، محفوظة في خزانة جار الله (مكتبة ملت ، اسطنبول) تحت رقم : ١٠١٥ /١ا–١٠٦ا . وهذه النسخة هي غفل عن اسم مؤلفها ايضاً ، وتوجد ضمن مجموعة كاملة كلها غفل عن اسماء مؤلفيها (او مؤلفها) . وهي مكتوبة بنفس الخط المكتوبة فيه مجموعة باريز ، على مثل الورق ، بمثل التجليد ...

ان اضعه في الحقائق الالهية ، واقيده له بخط يدي . والحمد لله على التيسير . — وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير ؛ وعلى آله وعترته وصحبه ... » .

٤) « اللوامع المشرقة لكشف ما في العدد من الأسرار المونقة »[١] . — البداية : « تفرد الواحد ، لا من طريق العدد ، بكمال لا يماثله فيه احد .... » النهاية : « وبالتالي لم يجعله حرفاً اذ ليست له صورة في النطق . فافهم ! والحمد لله على ما فتح . وصلى الله على سيدنا محمد ... وآله وصحبه ... » .

٥) « طراز الحور البارزة من خدور رحمة الجمهور »[٢] . — البداية : « الحمد لله الذي اخرج من كتم العدم من حمل امانة اسمه الاعظم . فأقامه على وتيرة العدل المستبين ... » . — النهاية : « والاعيان الامكانية على اصلها من حيث قابليتها الأولى رتبة الاحاطة .... وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى عترته وصحبه وورثته ...» .

٦) « رشف المعين من رشح بحر اليقين »[٣] . — البداية : « الحمد لله الذي هطلت ديم عنايته ... فسالت أودية منها ... » . — النهاية : « وهو في منصب عزه المنيع على مهيع العبودية المحضة ، مشيراً الى مرصده الاعلى وموقفه الاسنى باشارة : « ليس وراء عبادان قرية » . — وصلى الله على سيدنا محمد صاحب هذا القدر الجليل بلا مرية . »

---

١) عنوان الكتاب الرابع من المجموعة ؛ ورقاته : ١٢٩ا–١٤٨ب .

٢) عنوان الكتاب الخامس من المجموعة ؛ ورقاته : ١٤٩ا–١٥٩ا . — هنا يذكر المصنف اسم كتاب له (ورقة ١٥٣ب) بعنوان : « معارج الألباب في كشف مداولة الافراد والاقطاب » . وهذا الكتاب في الوقت ، على ما نعلم ، نسختان : الأولى ، محفوظة في خزانة جار الله (مكتبة ملت ، اسطنبول) تحت رقم : ١٠١٥/١٨٧ا–٢٢٣ب ؛ — الثانية ، في خزانة السليمانية (مكتبة السليمانية ، اسطنبول) تحت رقم : ١٠٢٨/٣٠٠ا–٣٠٩ب . وكلتا النسختين لا تحتويان على ذكر اسم المؤلف ... هذا : وصاحب «ذيل كشف الظنون» (الجزء الثاني/٥٠٣ د) ينسب الكتاب المتقدم الى السهروردي الفيلسوف . وهذه النسبة خطأ ، لأن المصنف يقتبس من كلام ابن عربي (انظر نسخة جارالله ، ورقة : ٢٠٣ب–٢٠٤ا) . كما ان الاستاذ جميل العظم ، في كتابه : «عقود الجواهر» (ص : ٣٧ ، ط. بيروت ، سنة ١٣٢٦ هـ.) ينسب نفس الكتاب الى ابن عربي : وهذا ايضاً خطأ ، لسبب المتقدم .

٣) عنوان الكتاب السادس من المجموعة ، ورقاته : ١٥٩ا–١٦٨ب . — وهنا يذكر المصنف ايضاً عنوان كتابه المتقدم : « معارج الالباب ... » (ورقة ١٦٧ا) وينقل نصوصاً من كتاب « التجليات الالهية » التي ينسبها الى ابن عربي (ورقة ١٦٨ا) .

٧) «غنية الطالب فيما اشتمل عليه علم الوهم والسروده من المطالب»[١]. البداية: «الحمد لله الذي جعل الانفاس اوعية أسراره. واظهر بها ما أودع منها آيتي ليله ونهاره ...». — النهاية: «أنجح الله مقاصدنا في الخير. وعوقنا عن طرق تنتهي بنا الى ما لا طائل فيه. — وله الفضل والمنة! وصلى الله على سيدنا محمد الظاهر بلسان صدق في العالمين؛ وعلى آله وعترته وصحبه وورثته.»

٨) «منتهى البيان في كشف نتايج الامتنان وشرح مقارنة الاسماء والاعيان»[٢]. — البداية: «الحمد لله الذي قدر الاعيان في قرار. وجعل الانسان موقع نجوم الاسرار ...». — النهاية: «رزقنا الله واياه ما طالت اعناق رومنا اليه. وجعلنا من الفائزين برغايب المواهب لديه. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ....».

٩) «لوازم التعريف للمقام الشريف»[٣]. — البداية: «الحمد لله الذي رفع المقدار بالحركة والقرار ...». — النهاية: «ودار بين الجذب والتسديد مع الخلق الجديد ... وصلى الله على هادي العباد الى سبل الرشاد؛ وعلى آله وصحبه وورثته الاقطاب ...».

---

١) عنوان الكتاب السابع من المجموعة، ورقاته: ١٦٩أ–١٧٦ب. — يعرف المصنف نفسه «علم الوهم» بأنه «ما يحصل به للنفس الاقتدار على جمع قواه الواهمة على مقصود بعينه» (ورقة ١٧٠ب). اما علم «السروده»: «فهو العلم بأحوال النفس الانساني في كيفه وكمه» (ورقة ١٧١أ). — هذا، و«السروده» كلمة سنكريتية مركبة من Sa و Rudh، ومعنى هذه اللفظة: «كل ما من شأنه ان يعيق»، أنظر: *Dictionnaire Bohtlingk et Roth, Sanscrit Worterbuch*, art. *Rudh* وهذه النسخة اليتيمة في غاية الاهمية بالنظر الى موضوعها الخاص. فهي، كما يقول المصنف، من اصل هندي (سنسكريتي) ترجمت أولاً الى الفارسية ثم الى العربية. فهي اذن من جملة الوثائق التاريخية التي تصور نفوذ التراث الهندي في الثقافة العربية عن طريق اللغة الفارسية. ان هذا الكتاب، من هذه الناحية شبيه برسالة «حوض الحياة» و«مرآة المعاني» وان كان متأخراً عنها من الوجهة التاريخية. بخصوص رسالة «حوض الحياة» انظر (يوسف حسين): «*La version arabe de l'Amrat-Kund*», in *J.A.*, T. CCXIII, nº 2, Oct.-Dec. 1928, pp. 291-344. وانظر ايضاً (ماسينون): *Textes inédits*, p. 119, note 2 » وبروكلمان: *G.A.L.*, I, 579/97-100 et *Suppl.*, I, 786/19 وانظر ايضاً (هنري كوربين): «*Pour une morphologie de la spiritualité shī'ite*», in *Eranos*, XXIX, p. 102, nº 34 واخيراً: «*L'Œuvre d'Ibn 'Arabī*», I, pp. 287-288.

٢) عنوان الكتاب الثامن من المجموعة، اوراقه: ١٧٩أ–٢٠٢أ.

٣) عنوان الكتاب التاسع من المجموعة، اوراقه: ٢٠٣أ–٢١٥أ.

١٠) « **اعلام الشهود في كشف مبهمات الوجود** »[١]. — البداية : « اللهم يا من تجلت ذاته في احديته عليه . واقتضت ان لا يعود ذلك منه إلا اليه ... » — النهاية : « ... النافذة الى انفس الذخاير في اقدس الحظاير . — تجز بحمد الله. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ... » .

١١) « **معالم رشح اليقين عن مخايل الظن والتخمين** »[٢] . — البداية : «الحمد لله الذي جعل العقل سراج الظلم ومعراج الحكم، وعلم به الانسان ما لم يعلم ... » . — النهاية : « وقد تيسر انجاز الغرض بالاسعاد الالهي ... فله الحمد اولاً وآخرًا ... والصلاة على محمد وعلى آله وصحبه ... » .

١٢) « **تفسير وتوضيح ﴿شهد الله انه لا آله إلا هو﴾**[٣] » . — البداية: «الحمد لله الذي منّ على الانسان بمرسلات الاحسان ...» . — النهاية: «... على وقوع الفعل الثاني واعتراض ما بينهما . — والله اعلم بحقائق الامور ... وصلى الله على سيدنا محمد ... وعلى آله وصحبه ... » .

(يتبـــع)

---

١) عنوان الكتاب العاشر من المجموعة ، اوراقه : ٢١٦ا–٢٢٤ا .

٢) عنوان الكتاب الحادي عشر من المجموعة ، اوراقه : ٢٣٦ب – ٢٤٠ب . — هنا يذكر المصنف : « ضابطة حكمية في تقسيم الموجود على رأي الحكماء المتقدمين والمتأخرين » (ورقات : ٢٣٦ب – ٢٣٩ا) ؛ و« ضابطة كلامية في تقسيم المعلوم على رأي فرق المتكلمين من المتقدمين والمتأخرين » في ورقتين : ٢٣٩ب – ٢٤٠ب .

٣) تفسير صوفي للآية الكريمة رقم ١٨ من السورة الثالثة (سورة آل عمران) في ثلاث ورقات : ٢٤١ب–٢٤٣ا .

آدم وحواء

نشيد للقديس الشاعر رومانس المرنم

عرّبه وعلّق عليه الاب نقولاوس قادري ق. ب.

المقدمة

نزفّ هذا النشيد لأول مرة للقراء وقد سلّمته الينا الدروس القيّمة التي أنشأها العلاّمة نقولاوس توماداكيس[١] اخذاً عن المخطوطة الوحيدة المحفوظة في جزيرة باطمس تحت عدد (٢١٢) د. هــذه المخطوطة هي من القرن الحادي عشر ويحمل النشيد التوزيع التالي :

نشيد الوضيع رومانس Τοῦ Ταπεινοῦ Ῥωμανοῦ ὁ Ὕμνος .

وهذه الأحرف توزع على اوائل المقطوعات الاربع والعشرين .

وضع هذا النشيد ليوم الاربعاء من الاسبوع الثاني للصيام مع ان الفروض الالهية البيزنطية الحالية تخصص احد المرفع لذكر طرد آدم من الفردوس ونواحه على فقدان الفردوس بعد سقوطه في الخطيئة والعصيان .

ولا ينتظر القارئ ان يكون النشيد هذا في الاسبوع الثاني من الصيام بل ان يكون في مطلع الصيام وقبل بدئه .

فالنشيد موقوف بموضوعه على سقطة آدم وحواء وعلى ضرورة التوبة ويجب ان يكون كمقدمة للصيام الاربعيني كما هو نوح آدم Θρῆνος Τοῦ Ἀδάμ الموضوع لأحد المرفع قبل بدء الصيام .

ان نشيد آدم وحواء هو عظة شعرية على الصيام فيها يشرح الشاعــر الأسس التاريخية والقيمة الروحية للصيام ومعناه الرمزي ومدته التي ترمز الى « عُشر » أيام السنة .

والنشيد كامل في نصه وليس فيه تشويه او نقص او اقسام مبتورة فالمخطوط الذي يحويه كامل وحالته حسنة اما ما جاء فيه من قليل الغموض فلا يعيق قراءته بفنٍ ولذة .

---

١) Ῥωμανοῦ Τοῦ Μελῳδοῦ Ὕμνοι Ἀφιέρωμα Εἰς Νικόλαον Β. Τωμαδάκην. Ἀθῆναι, Θησέως 9 + (1959 - 1961 P. 457 - 500)

محتويات النشيد

ان موضوع النشيد الحاضر هو وصية الصيام الالهية ويقسم الى ثمانية اقسام :

١ ــ المقدمة (١ــ٦)

تحمل المقدمة عادةً موضوع النشيد اما هذه فلا تتكلم عن الصيام مباشرة بل تذكر النفس البشرية بالتوبة وتحضها على نيل الغفران .

اجل ان زمن التوبة والالتجاء بدموع وزفرات الى المسيح والتوسل اليه لنيل الغفران يتفق وموضوع الصيام .

٢ ــ الأسناد العقائدي للصيام (٧ــ٧١)

هو القسم الاخباري من النشيد ويحوي التفسير الرمزي للعهد القديم ويصور وصية الصيام الالهية للابوين الأولين . وهذه الفكرة السائدة عبر النشيد كله ليست خاصة بالشاعر رومانس فالآباء الاولون في القرون الاولى للنصرانية مزجوا الحادثين معاً . ففي البدء كانوا يرددون بأن الصيام هو الوصية الاولى من وصايا الله[١] .

والمسيح نفسه وان يك إلهاً فقد صام اربعين يوماً واعطى ذاته لنا قدوةً ومثالا . (مقطوعة ١) .

والانبياء الكبار في العهد القديم كموسى وايليا الحائزان دالة والمتكلمان مع الله التجأ الى الصيام الذي يعطي انفسهم اجنحة فتصعد الى الله ويحفظهـا بالاتحاد به (م. ٢) .

والصيام مع الصلاة له قوة كبيرة حتى انها تخرج الشياطين وتطردهم بحسب كلمات المسيح نفسه (م. ٣) .

وبالصيام يحصل تطهير الجسد والنفس وارتقاء الارضيين الى العلاء وتتجلى بوضوح معرفة الله وحقيقته وبالصيام يرجع الانسان الى الفردوس الذي طرد منه بسبب المعصية (م ٤) .

والخالق الحكيم اعطى المخلوق الأول وصية إلهية وسلّمه الى يد الصيام فطالما يحفظ الانسان وصية الخالق يقضي حياة ملائكية ولكن عندما يخالف الأمر الالهي يعاقب بالطرد من الفردوس وتحل به الاحزان والاوجاع . (م. ٥) .

---

١) يوحنا فم الذهب (مين ٤٩ــ٣٠٥) .

٣ – تشريع الصيام في الفردوس (٧٢–١١٠)

اعطى الله آدم السلطان على كل شجر الفردوس والتنعم بكل غراسه (م. ٦). ومنع الاله آدم عن الاكل من شجرة واحدة لكي يجرب طاعته للخالق (م. ٧). وانذره بعقاب الموت اذا جرّب واقترب واكل من شجرة معرفة الخير والشر (م. ٨).

٤ – حوار الحية مع حواء (١١١–٢٠١)

الشيطان يتقنع بقناع الحية ويراقب الانسان ويقترب اولا من حواء لانها آداة ضعيفة (مقطوعة ٩).

يحمل الشيطان النفع المبطن والمحبة المغشاة لآدم وحواء ويعمل بشكل حية فتطرح السؤال على حواء المرأة الاولى: لماذا تمتنعان عن التمتع بغراس الفردوس؟ (مقطوعة ١٠).

فتجيب حواء ببساطة وبراءة ان الله قد اوصاهما وامرهما. وهذا ما يجهله الشيطان لانه لا يعرف كل شيء مثل الله. اما المنع فقد انحصر في شجرة واحدة (مقطوعة ١٢).

مناجاة الشيطان لنفسه يدبر الحيلة ويستعمل الملاطفة والمداهنة فيمزج المراوغة بالخداع لئلا يفقد الثقة عند حواء (م. ١٢). فيمدح الشيطان، بلسان الحية، الله وصدقه ثم يصور لها المنع نتيجة حسد الله، لئلا يصير الابوان الأولان شبيهين بالله اذا أكلا من الشجرة العجيبة (م. ١٣).

اذن ليست الشجرة برديئة ومميتة فالله الكامل الصلاح لا يغرس شجرة في وسط الفردوس لتحمل الموت والألم. ان الله خلق كل شيء ورآه حسناً. (م. ١٤).

واخيراً دفعت الشهوة حواء فنظرت الى الشجرة فاذا بها بهية للنظر جميلة وطيبة للاكل فأحرقها ألم الشهوة (م. ١٥). وتناجي حواء نفسها وتلقي نوراً على الصراع فتقدم لذاتها البراهين وبواسطة هذه البراهين الواهية توطد العزم وتمضي في سبيل تحقيق الشهوة والامنية. لا مصلحة للحية ولا منفعة لها لتكون عدوة الله. فالشجرة بهية جميلة ولها منظر عجيب. وهكذا أسرعت حواء فقطفت واكلت من الشجرة.

٥ ــ توبيخ الشاعر لحواء (٢٠٢–٢١٤)

يوبخ الشاعر حماقة حواء : لماذا لم تنحصي اذا كانت آمالك تحققت ثم تحملين الثمرة الى قرينك ؟ (مقطوعة ١٦) .

٦ ــ حوار آدم وحواء (٢١٥–٢٥٣)

ويدور الحوار بين آدم وحواء . ركضت حواء الى قرب آدم حاملة الثمرة كنزَ اختبارها . لكن مخاوفها كانت وهمية . (مقطوعة ١٧) . تكلمت حواء عن اختبار : أكلت وما ماتت اذن كلام الحية هو اشد تأكيد من كلام الله . ولو كانت اقوال الله حقيقية لوجب على حواء ان تكون مائتة وعلى آدم ان يبكي على حواء (مقطوعة ١٨)

ولم تقترب الحية من آدم خوفاً من اختناقها في مسعاها فاستسلمت المرأة كحية شريرة واماتت الانسان بلدغها وهكذا لم ينجُ آدم من حيته المتخفية اي من قرينته حواء (مقطوعة ١٩) .

٧ ــ نتائج الشراهة والصيام (٢٥٤–٣٠٥)

كانت نتائج الشراهة المشقات والعذابات هنا على الارض ثم الطرد من الفردوس وبسبب خطيئة انسان واحد اصبح جميع الناس مجرمين لانهم كلهم خطئوا بواحد .

اما نتائج الصيام فهي مضارعة الملائكة . فالمسيحيون بالصيام يصبحون كالملائكة ويمتلكون من جديد الفردوس المفقود (مقطوعة ٢٠) . وتكثر الحرمانات والتجارب المتنوعة في هذه الدنيا (مقطوعة ٢١) . وليس من العدل ان يكون الناس عبيداً لبطونهم او اكثر شراهة من آدم . ويبين الشاعر رمز الصيام بالعُشر الذي كان العبرانيون يؤدونه من اموالهم وخيراتهم (اعطِ الله عشر أموالك) فالصيام المقدس هو العُشر الروحي المقدمُ لله . (مقطوعة ٢٢) .

فالايام التي يصوم فيها المسيحيون هي ٣٦ يوماً ونصف اذاً يصومون عشر ايام السنة تماماً (مقطوعة ٢٣) .

٨ – الخاتمة (٣٠٦–٣١٨)

يختم الشاعر نشيده بالدعاء الى المسيح المخلص وبالصلاة وطلب الرحمة للذين صاموا وللذين لم يصوموا ويستعطف الفادي بشفاعة امه مريم لينال الحياة الابدية .

مصادر النشيد

يستوحي الشاعر افكاره من ينبوعين الينبوع الاول سفر التكوين ومن اسفار اخرى من العهد القديم [وخصوصاً الفصلين الثاني والثالث] وبعض الاشارات من العهد الجديد والينبوع الثاني من اقوال الآباء .

مما لا شك فيه ان رومانس كان يستقي من الينبوع الغزير من اقوال يوحنا فم الذهب خصوصاً من شروحاته على سفر التكوين وربما تبعها في نصوصها الحرفية ويستقي ايضاً من اقوال كيرلس الاسكندري واثناسيوس الكبير وباسيليوس اسقف سلوكية .

قيمته

ليس هذا النشيد باجمل اناشيد رومانس مع ذلك له صفات وافية لتظهر الجمالات الشعرية التي ينثرها الشاعر .

فنحن اليوم لا نحكم الا على القيمة الشعرية ولكن جمال الاناشيد يقوم اولاً على الموسيقى التي لسوء الحظ نجهلها . ويقوم جمالها على الاداء والتمثيل بالايماء وعلى الجمالات اللفظية من بيان وطباق وجناس وصور شعرية وعروضية وصور رمزية منتشرة في مقطوعات الاناشيد .

والنشيد في اهابه الحاضر يؤلف وحدة في الموضوع وفي مشاهده يتخلل الحوار الرشيق المقتضب فيضفي على المقطوعات وشاحاً من الجمال الرائع ويحرر هذه المقطوعات من الثقالة التعليمية .

وليس موضوع النشيد بجديد انما نوع الاسناد والبراهين له مصادره من الآباء والكتاب المقدس .

مع ذلك كم هو جميل وعجيب النوع الذي به يلبس رومانس اقوال الكتاب والآباء النثرية اهاباً شعرياً ولكن بعد ان يستسيغ تلك الاقوال ويصهرها في بوتقة عبقريته وعمق تأملاته فيعطيها للعالم بقالبها الجميل الرشيق .

النشيد

مقدمة

١ — استسلمي ، يا نفسي ، للتوبة .
وبالفكر اتحدي بالمسيح
واهتفي بزفرات :
اعطني مسامحة
اعمالي الفظيعة ؛
٥ — لكي آخذ منك ،
ايها الصالح وحدك ،
الغفران والحياة الابدية .

نحن الذين حفظنا
تعاليم الرب والمخلص
نرجو بالاعمال والايمان ؛
ان نحظى بسعادة الرجاء[1]
لذلك نكرم
هذا العمل البطولي
ونحب الصيام
الذي تكرمه الملائكة .
الانبياء حفظوا الصيام
وكانوا من الارض ؛
ثم صاروا مضارعين
اجواق الملائكة .
والمسيح نفسه لم يخجل
من اكمال عمل كهذا ؛
بل صام طوعاً[2] ؛
وبالصيام رسم لنا الطريق
والحياة الابدية .

ونعلمُ ان موسى وايليا[3]
البرجين النارين ؛
كانا عظيمين بالاعمال
وصارا الاولين بين الانبياء .
وامتلكا دالة لدى الاله .
كانا يسيران ويقتربان منه
يضرعان اليه ويتحدثان اليه
وجهاً لوجه[4] ؛
ومع ان هذا امرٌ عجيب وغريب .
مع ذلك لاذا
باندفاع نحو الصيام ؛
وبه تقدما
الى الله[5] ؛
فالصيام مع الاعمال
يمنح الناس
الحياة الابدية .

(١) تيطس ٢-١٣
(٢) متى ٤-٢
(٣) سفر الملوك الرابع ٢-١١
(٤) سفر الخروج ٣-٤ ، ٧
(٥) سفر الخروج ٣٥-٢٨

بالصيام ، كما بسيف ،
تُطرد جميع الشياطين ؛
الذين لا يتحملون افراح الصيام
ولا يقوون عليه .
يحبون الاكول الشريب ،
واذا ما شاهدوا
طلعة الصيام ،
فلا يستطيعون الوقوف ،
بل يعدون بعيداً ؛
كما علمنا المسيح الهنا
حين قال :
ان جنس الشياطين
يُغلب بالصوم والصلاة[١]
لذلك تعلمنا نحن
ان الصيام
يهب الناس
الحياة الابدية .

ان جمال الصيام النقي
هو الطهارة
ام العفاف ؛
تجري ينبوع الفلسفة
وتنيل الاكليل ؛
تضمن لنا الفردوس ؛
وترجع للصائمين المسكن الابوي
فمنه طرد آدم ؛
ولكن بعد ان جلب الموت معه.
وبما انه امتهن كرامة الصيام
فالاله خالق العالم
وسيده ،
عندما ابصر الصيام محتقراً
غضب للحال ،
واما الذين يحترمون الصيام
فقد وهبهم
الحياة الابدية .

(١) متى ١٧–٢١

ان المحبّ البشر نفسه
استودع منذ البدء
الانسان المخلوق ،
الى سلطان الصيام كالى معلم ؛
وسلم حياته في يد الصيام .
فلو حفظه
لسكن مع الملائكة .
لكنه رفضه
فوجد المشقات والموت ،
وقساوة الاشواك والعليق ،
وضنى الحياة الاليمة[1] .
اذا كان الصيام
ظهر مفيداً
حتى في الفردوس ،
فكم هو اكثر افادة
في هذه الدنيا ؛
وينال لنا
الحياة الابدية !

لما وضع العلي في الفردوس
آدم الانسان الخليقة الاولى ،
امره ان يأكل من كل شجرة[2]
كما كتب
لكن منعه عن الاكل
من شجرة واحدة .
وهذه كلمات الخالق
المفعمة حناناً ، قال :
تمتع بكل ما انعمت به عليك ؛
واني اسر
بان تتمتع بكل هذه .
واذا حفظت وصيتي ،

فسأحفظك متمتعاً بها .
ولهذا تحفظك نعمتي
بعيداً عن الفساد ؛
بما انك قد اخذت
الحياة الابدية .

(١) تكوين ٣–١٧ و١٩

(٢) تكوين ٢–١٥ و١٧

اسمع ، يا آدم : كلماتي :
وانتبه بدقة للامر هذا
اني آمرك ان تمتنع
عن واحدة من هذه الاشجار
لا لأنها رديئة من طبعها
بل لان مخالفتها
تفسد طبيعتك .
ان جوهر الشجرة
ليس بمضر :
لكن التناول منه
يكون لك سبب اذًى
فانه يحمل ·
مخفياً فيه
ارتباك الافكار
وسيف المذاقة
اذا اكلت منه
تفقد
الحياة الابدية .

ها انا آمرك ، ايها الخليقة الاولى
ان لا تمس هذه الشجرة
التي كلمتك عنها .
واذا مسستها حقيقة
أسلمت فوراً
الى الموت كسارق[1] ،
لا لانك لا تقوى
على احرازها
بل لانك غدوت بلا ايمان ،
ولا قيمة لك .
اني دعوتك الى وصية صغيرة
الهية وسهلة .
ولذا وهبتك بسخاء
الاشجار الاخرى
لكي تتمتع بها كلها
ولا تغدو خاضعاً للموت ،
فانت صورتي وتملك[2]
الحياة الابدية .

(١) تكوين ٢–١٧
(٢) تكوين ١–٢٦ و ٢٧

لقد احترم آدم وحواء
الشريعة الالهية .
التي اخذاها قبلاً ،
لكن الشيطان كان يراقب
حركات الشهوة
١١٥ — ويحاول خداعهما[1] .
وما دام يشاهدهما
مختفيّين عن حكمة
فما كان يجسر ابداً
ان يقترب من الكائن البشري.
انما المحتال لما شاهد
حواء منتصبة وحدها ،
قرب الشجرة استخدمها
١٢٠ — ووضع حجر العثرة
ليهوي الكائنان البشريان ،
اللذان بنعمة
اخذا قبلا
الحياة الابدية .

وبغش تقدم الشرير من المرأة
١٢٥ — كصديق وأليف ،
وطرح عليها سؤالا
ملؤه خداع .
وخاطبها بشفقة
« لِمَ اعطاكما الله الفردوس ؟
كأنه يحبكما
١٣٠ — لِمَ منعكما ان تأكلا
من جميع الغراس[2] ؟
يا له من كريم !
وبما انكما في الفردوس
لاي سبب
منع عنكما اللذة
التي يوحيها الفردوس ؟
كيف تستطيعان
بدون اللذة
١٣٥ — ان تملكا
الحياة الابدية ؟ »

---

(١) سفر الرؤيا ١٢-٩ (٢) تكوين ٣-١

خدعت حواء
بهذه الاقوال
فاجابت :
« ضللتَ فلا تعرف
ما امر به الرب .
لقد اعطى الاله
الفردوس كله للتنعم
وكمائدة للذين خلقهم .
لكنه منعنا عن الاكل
فقط من شجرة واحدة[١]،
قد تكون عائقاً لحياتنا
وهذا المنع
يفيدنا نحن الاثنين
وجدير بان يزرع فينا
وجدان الخير والشر .
لقد اخذنا قبل الاوان
ملكاً لنا
الحياة الابدية ».

ان العدو مزج
المذاقة العذبة
بالكلام المميت .
فاليك ما قاله في نفسه
العدو الكبير :
عندما بدأ يفكر :
« ان لم اضع في نيتي الغش،
وان حكمت على الله في أقوالي،
خامر حواء الشك فيَّ
وحكمت اني ابغض الله
فافقد عندها الثقة .
فانا لا اعلم حتى الآن مقاصدها.
آه لو استطيع
نقض خواطرها !
لربما سمعت لي
ساستعمل الخداع
وادنو من اللذين اخذا
الحياة الابدية . »

(١) تكوين ٣-٢ و٣

ما كادت تفكر الحية
بمثل هذه الافكار
حتى صرخت بحواء
قائلة : « اني اسرّ
بوفرة اللذائذ
التي اخذت .
اني امدح الله الحق
انه لم يكذب عليكما
اذ اوحى اليكما ،
كم هي كبيرة هذه الغرسة .
انها تعطي
معرفة الخير والشر .
لكنما الله وحده
يملك الحكم على جميع الامور ،
ولذا منعكما ان تأكلا
من هذه الشجرة
التي تعطي
الحياة الابدية .

ألست عارفة
بان الله صنع
حسنة الخليقة كلها[١] ؟
انه هو عمل
كل الاشياء حسنة ،
فكيف يرضى ان ينبت الموت
في وسط الفردوس ؟
لا ليست شجرة المعرفة
بحجر عثرة .
انكما لن تموتا
اذا ما اكلتما منها ،
بل بها ستكونان كآلهة ،
لتميزا الخير والشر كما هو الخالق[٢]
لذا تبين للنظر
وفي وسط الفردوس
انها تعطي
الحياة الابدية . »

---

(١) تكوين ١-٣١

(٢) تكوين ٣-٤ و٧

وعندما رأت حواء
ان الشجرة جميلة وطيّبة ،
اشتعلت بالشهوة
واسرعت الى المذاقة .
وحثت ذاتها
قائلة بفكرها :
« هل من تشير عليّ بهذا
هي عدوة لله ؟
أيةُ عداوة للحية
نحو الخالق ؟
ان الشجرة بهية للنظر .
سأسرع الى الطعام
الذي يجعلني متألهة .
سأتنعم بهذه الثمرة ،
التي عندما رأيت منظرها
يبست من الشوق[1]
ساعطي قريني منها
حتى نملك
الحياة الابدية . »

قبلتِ الآن ، يا حواء التعسة ،
هدية تحمل الموت ،
واكلت منها .
لمَ تركضين
لإهلاك قرينك معك ؟
افحصي ذاتك بدقة ،
انظري اذا كنت
قد غدوت بالمذاقة
ما كنت تنتظرين ؛
او اذا كنت الهاً كما رجوت.
فاعرفي الأمر هذا اولا .
وبعدئذ اسرعي، يا امرأة ،
وحضي قرينك على المذاقة ؛
لا ! لا تجعلي قرينك
شريكاً لك في الهلاك !
لمَ هذا الاسراع
وتعتقدين ان ثمرة هذه الشجرة
قد اعطتك
الحياة الابدية ؟)

---

(١) تكوين ٣-٦

عندما خُلبت
حواء بالشجرة
هلكت
فهي ما كادت تتنعم
حتى اسرعت واعطت
آدم ايضاً من ثمرة الشجرة[1]
لقد عملت كانها حملت
له هدية جميلة
وقالت له : يا شريكي ،
كنا حتى الآن نعيش قرب كنز ،
وكانت رغبة عجيبة
تولّد الخوف فينا ؛
فالآن انا اعلم عن خبرة ،
ايها القرين ، باننا كنا
نغذي خوفاً بلا سبب .
انا اكلت منه
وها انا بالقرب منك احيا سعيدة
واقطف عن الشجرة ما يعطي
الحياة الابدية) .
ان كلام المشيرة ،
كما اختبرت الأمر ،
لهو حقاً صدق .
اكلت وما متُّ كما سبق الله فقال .
وانا هنا امامك مليئة بالحياة ،
واما امر الله فلم يكن سوى تظاهر ،
فلو كان الأمر حقيقة
لكنت انت بكيتني
ميتةً وملقاة
على سرير الموت .
فخذ اذن ، يا رجل ،
وتنعم
بطبيعة هذا الثمر
خذ كرامة الحية
سوف تغدو إلهاً ،

مثل ذاك
الذي يعطي
الحياة الابدية . »

(١) تكوين ٣–٦

قلت قبلاً ،
ان الحية ما جسرت آنذاك
ان تقترب من آدم
لخوفها من خيبة الأمل ،
في حرارة رغبتها .
ولكن حيّة اخرى
ظهرت اكثر رعباً
واكثر حية
من تلك الحية .
ومن لم تلدغه حية ،
هذه المرأة اماتته .
لقد لاطفته آنذاك
ونفثت فيه سمها ؛
كسرته فكسرت ذاتها ،
وبضلال الاكل
جعلت ضحايا الحية ،
امواتاً فقدوا
الحياة الابدية .

ان هذه الخديعة
احاطت بآدم التعس ؛
فجرح بجرح واحد[1]
كل الجنس البشري
لأجل اكله من الثمرة .
وبسبب ذلك وبعصيانه
تجندل الى الارض
وتعرّض لكل انواع المشقات
فالمقياس اللائق
والمفيد في الصيام[2] :
القائم بأن يتجنب الانسان
الافراط من الشراهة ؛
هذا لم يعرف آدم أن يحافظ عليه .
اما المسيحيون من كل الامم
فيتمرسون عليه بحرارة ؛
مضارعين بذلك الملائكة ؛
على أمل ان ينالوا
الحياة الابدية .

(١) تكوين ٣-١٧ و٢٠
رومانيين ٥-١٢ و١٩

(٢) متى ٢١-٢٩ و٣٠

عظيم هو الصيام
الذي اليه دعي آدم .
ان غذاء ابينا قبلاً .
لم يكن سوى اعشاب ؛
ومع ذلك فهو نفسه
لم يعرف القناعة .
اما في ايامنا هذه
فملذات الجسد
هي من كل الانواع .
اطايب الاسماك
والعصافير والطيور[1] ؛
وتنوع الغراس والبذار ؛
الطُهاة والموائد
وملذات الولائم ؛
التي تثير
شهيتنا النهمة ؛
وانما تحرمنا
الحياة الابدية .

عندما اتكلم بهذا الآن ،
لا احثكم ، ايها الاصدقاء ،
على اتباع الشراهة .
ولا اريد ان اصيّركم
اشدّ شراهة من الأب الأول .
وما اردت ان اتغنى به
ايها المسيحيون المؤمنون
انما هو حماستكم
لفضيلة الأمساك السامية .
لانكم عندما تحفظون الصيام
في هذه الايام
تبادرون الى دفع العُشر
لالهنا كما في كل سنة
وكما كان العبرانيون[2]
الى السيد يحملون
عُشر خيراتهم ،
رمزًا للصيام الآتي ،
الذي به تنال
الحياة الابدية .

(١) اعمال ١٠-٩ و١٦

(٢) تكوين ١٤-٢٠ عدد ١٨-٢٤ .
عبرانيين ٧-٤ و ٥ ؛ لوقا ١٨-١٢

ايها الاحياء ،
لنضع بوضوح
عدد العُشر من الصيام
سبعة هي اسابيع الصيام ،
وفي كل اسبوع
خمسة هي الأيام
للمنتقاة لممارسة الصيام .
فالايام التي فيها نصوم
هي خمسة وثلاثون يوماً ،
ويُضاف الى ذلك
نهار وليل السبت العظيم
لآلام المخلص .
وهذا العدد يؤلف
ستة وثلاثين يوماً ونصف ،
اي عُشر السنة ،
التي بها نمتلك
الحياة الابدية .

يا مخلص العالم ،
نسجد لك ،
ونقدم لك عبادة روحية .
يا محباً للانام، ايها الرحيم ،
انت ارحم جميع الأنام .
منا من اكل ومنا من صام ،
فجميعنا نمدحك
انت المخلص من الضلال
جميع الناس الذين خلقت[1]
انت هو الحنا ،
وان صرت انساناً ،
كما شئت فولدت
من البتول مريم ،
الكاملة القداسة
والدة الاله الكاملة الطهارة :
لذلك نستعطفك :
بشفاعة أمك ،
اعطِ عبيدك
الحياة الابدية .

---

(١) ١ كور ١٠-٣١